

شهيد الولاء

حجر بن عدي الكندي

هاشم محمد

هوية الكتاب: الكتاب : شهيد الولاء حجر بن عدي الكندي المؤلف : هاشم محمد الناشر : المعاونة الثقافية للمجمع العالمي  
لأهل البيت (ع) المطبعة : امير الطبعة : الاولى سنة الطبع : 1415 هـ الكمية : 3000 نسخة صف الحروف : المجمع العالمي  
لأهل البيت (ع) جميع حقوق الطبع محفوظة



## كلمة المجمع

يمتاز الاسلام كاطروحة نظرية وكحركة رسالية لبناء إنسان الصلاح والعدل وأمة الخير الرائدة أنه صنع رجالاً لا مثيل لهم في التاريخ علماً وإيماناً وسلوكاً ومواقف، من خلال تربيتهم واعدادهم في مدرسة أهل بيت النبوة والعصمة (عليهم السلام).

وهؤلاء الرجال هم العظماء ليس في المنظور الآني لحياتهم فقط، بل على امتداد التاريخ الانساني، بما كان لهم من دور كبير في تصحيح المسار والوقوف بوجه الانحراف الذي كان يقوده الطواغيت السلطويون وأتباعهم من المنغمسين في أحوال الذلّ والعبودية للطغيان.

ومن عرفان الجميل لهؤلاء الاشخاص الذين بذلوا الغالي وكل ما يملكون أن تخصص الدراسات والبحوث لبيان حياتهم الجهادية والادوار التي عاشوها، وإيضاح الجوانب الرسالية الغامضة في مسيرتهم. كما أنه من المفيد أن يطلع الجميع على واقع امثال هذه الشخصيات الفريدة لأنهم القدوة الحسنى والمثل الطيب الذي ينبغي الاقتداء به، والاعتبار بسيرته ومواقفه الاسلامية.

ويقف في القمة منهم رجال الولاء والتشيع لأهل بيت النبوة والعصمة (عليهم السلام)، أولئك الذين أعطوا للانسانية على امتداد تاريخها دروساً لا تنسى في العزيمة والثبات والجهاد والتضحية، وكانوا كالشموع التي تحترق لتضيء الدرب للسالكين، بل كانوا نجوماً يهتدى بها في الظلمات، ويستدل بها على معالم الطريق.

وعلى العكس مما ينبغي، فبدل أن يكرم هؤلاء، وبدل أن يوضعوا في الاماكن التي يحق لهم أن يتبوؤوها، وقف ولادة الجور في وجوههم، وطاردوهم، وحاربوهم، وانتقموا منهم شر انتقام، سجناءً، وتعذيباً، وقتلاً وصلباً، وإلى غيرها من الوسائل البشعة التي يمارسها الطغاة ضد الثائرين والرافضين لوجودهم (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد).

وكان الظلم الذي تعرضوا له هو الجزاء الذي نالوه نتيجة اخلاصهم لربهم ولأمتهم ولرسالتهم الخالدة. كما أنهم ظلموا من قبل اخوانهم اتباع أهل البيت (عليهم السلام)، حيث التقصير بحقهم، لعدم الاهتمام الكافي بإبراز ادوارهم الرسالية ومواقفهم الرائدة، فظلت تلك الادوار والمواقف في منسيات التاريخ وفي طيّ الاهمال. رغم ثراء تاريخنا الاسلامي بأمثال هذه المواقف الرائدة.

وسلسلة شهداء الولاء التي يتولى المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) إصدارها بادرة طيبة في طريق إجلاء هذا التاريخ الناصع، وهذه الادوار الرسالية الخالدة.

والكتاب الاول الذي يبتدى فيه سلسلته هذه هو شهيد الولاء حجر بن عدي الكندي. هذا الطود الذي كان ذروة في الايمان والصلابة في الحق ضد الباطل، وكيف لا يكون كذلك؟ وهو التلميذ الصالح لسيد المعلمين بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) أمير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام) الذي غذاه من علمه، وروّاه من إيمانه، وأغدق عليه من إخلاصه وثباته وشجاعته دروساً سطرها التاريخ منائر من نور.

وقد كان ليراع سماحة المحقق السيد هاشم الهاشمي وابداعه في هذه الترجمة الهادفة دورٌ اساسي لاطهار السلسلة بالمستوى الرفيع الذي يجعل منها دروساً للأجيال المتعاقبة والطلّاع الرسالية في كل زمان ومكان.

### المعاونية الثقافية

للمجمع العالمي لأهل البيت (ع)

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين. هذه دراسة حول حجر بن عدي الكندي، أحد أعلام الولاء لأهل البيت (عليهم السلام) وأبطالهم وشهداءهم. حاولت فيها استقصاء ما ذكر حوله في مختلف المصادر، القديمة والحديثة، بما يسלט الضوء على سيرة حياته متكاملة من ولادته حتى استشهادها في مرج عذراء، بأيدي أعداء أهل البيت، أعداء النور والهدى، لأن في دراسة أمثال هؤلاء الافذاذ قدوة وعبرة لغيرهم، من أجل مواصلة الطريق الذي سلكوه في سبيل الدفاع عن الولاء، الذي يمثل الاسلام الأصيل، وطريق الكمال والسعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، والحفاظ على تلك المبادئ والمكتسبات مهما كانت التضحيات. وقد كتبت هذه الدراسة عام 1388 هجرية، ولكنني خلال هذه المدة الطويلة أضفت إليها ما أمكن إضافته، مما ظفرت به في مختلف المصادر، مما يتعلق بها. ومن الجدير أن أذكر أنني لم ابذل قصاري جهدي في أمثال هذه البحوث والدراسات لعدم تفرّغي لها، وذلك لانصرافي أكثر إلى الدراسات الحوزوية، وتوجيه جل اهتمامي إليها، وهو بطبيعة الحال ربّما أدى إلى عدم التوجّه المطلوب لهذه البحوث التاريخية والأدبية وأمثالها. وربما احتاجت إلى تخصص واهتمام أكثر، لتتجلى بالصورة المنشودة، إلا أنني أقدمت على نشرها لعلها تقدم خدمة متواضعة في مجال نشر مبادئ أهل البيت وتاريخهم وتراثهم، ولعلها تنفع صحيفة كاتبها (يوم لا ينفع مال ولا بنون \* إلا من أتى الله بقلب سليم)، وبشفاعة أهل بيته الطاهرين، فتقبلوا يا سادتي وأئمتي هذا الجهد الضئيل، متوسلاً بكم إلى الله أن يتفضل على عبده الضعيف بالاستقامة على ولائكم ومبادئكم التي تمثل الاسلام الأصيل، والصراط المستقيم، والسعادة في الدنيا والآخرة، وبالشفاعة في يوم الجزاء، إنه نعم المولى ونعم النصير.

هاشم محمد

## اسمه

(حُجر بضم أوله وسكون الجيم، ابن عدي بن معاوية بن جبلة بن ربيعة بن معاوية الاكرمين الكندي، المعروف بحجر بن الادبر، حجر الخير)<sup>(1)</sup>.

وابن سعد يُسقط معاوية الاول في نسب حجر، فيقول: (حجر بن عدي بن جبلة..) <sup>(2)</sup> على خلاف بقية المؤرخين. وقد بحثت عن مسألة النسب، والاختلاف فيه في رسالتي عن ابي الاسود الدؤلي، واضع النحو العربي، فليراجع.

وقال السيد الداماد: (حجر بضم الحاء وسكون الجيم ثم راء، وعدي بفتح العين وكسر الدال ثم ياء مشددة، والكندي نسبة الى كندة، بكسر الكاف و سكون النون وفتح الدال، هي قبيلة عربية كبيرة، تنتسب الى ثور بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان. قيل: سمي كندة لانه كند أباه، اى كفر نعمته)<sup>(3)</sup>.

(ويعرف بحجر الخير، وابن عمه حجر الشر، حجر بن يزيد ملعون من أتباع معاوية يوم صفين كما في كتاب صفين)<sup>(4)</sup>.

وكذلك يعرف بحجر بن الادبر لان اياه عديا طعن موليا فسمي الادبر)<sup>(5)</sup>.

---

(1) الاصابة ج 1 / ص 313.

(2) الطبقات ج 6 / ص 217.

(3) التعليقة على رجال الكشي ج 1 / ص 14.

(4) مستدرک سفينة البحار ج 2 / ص 6، ووقعة صفين / ص 243.

(5) الطبقات ج 6 / ص 217.

## ولادته وشهادته

يكتنف بعض الغموض في التاريخ حياة حجر، و نشير إلى بعض نقاطه التي منها ولادته. فلم يذكر المؤرخون عام ولادته. وقد نتمكن من تخمين ذلك من خلال تتبع حياته والاستفادة من سنة وفاته. ففي الطبقات: (وكان حجر بن عدي جاهلياً إسلامياً)<sup>(6)</sup>. وفي المستدرك روى عن مصعب الزبيري: أن حجراً (كان قد وفد إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم)<sup>(7)</sup>. وروى عن إبراهيم بن يعقوب: (قد أدرك حجر بن عدي الجاهلية وأكل الدم فيها، ثم صحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) وسمع منه<sup>(8)</sup>. فهو إذن قد عاصر الجاهلية، يؤيده ما ذهب إليه أكثر المؤرخين، بل إنهم ذكروا أنه مارس بعض مظاهرها (كأكل الدم)، وهذه الممارسة لا تحصل إلا في فترة الرشد. وهناك بعض الروايات يؤكد صغر سنه بالنسبة لبقية الصحابة: «وكان حجر من فضلاء الصحابة وصغر سنه عن كبارهم»<sup>(9)</sup>، ولكن ما هو مقياس الصغر عند المؤرخين وما هي مدة صحبته للرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟ يقول السبتي: «.. ومن هنا يتبين أن صحبته لم تتجاوز السنتين، وكذلك ليس من السهل تحديد عمره عندما أسلم ويلوح لنا أيضاً أنه لم ينته من العقد الثالث»<sup>(10)</sup>. ويظهر من كلامه أن عمر حجر ناهز الثلاثين حين وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولعل ما يدعم ذلك أنه قتل وهو شيخ.

وجميع هذه الآراء لا تستند إلى وثائق تاريخية مسلمة، بل هي افتراضات وإن أصابت جانباً من الواقع بحسب تلك الوثائق.

أما سنة شهادته فيذهب أكثر المؤرخين أنه قتل في مرج عذراء مع جماعة من الموالين لأمير المؤمنين (عليه السلام) بأمر معاوية سنة (51هـ)، وهذا ما ذكر في تاريخ الطبري، والكامل وغيرهما من كتب التاريخ، والتراجم والسير. ولكن البعض منها، أمثال المسعودي في مروج الذهب، خالف بقية المؤرخين.

يقول المسعودي: (وفي سنة ثلاث وخمسين قتل معاوية حجر بن عدي الكندي)<sup>(11)</sup> ويذكر أيضاً في آخر حديثه عن حكاية مقتله (وقيل: ان قتلهم كان في سنة خمسين)<sup>(12)</sup>. والظاهر أنه يرجح سنة (53هـ)

(6) الطبقات ج 6 / ص 217.

(7) المستدرك ج 3 / ص 468.

(8) المستدرك ج 3 / ص 470.

(9) الاستيعاب ج 1 / ص 355.

(10) حجر بن عدي / ص 68.

(11) مروج الذهب ج 3 / ص 3، المستدرك ج 3 / ص 468.

(12) مروج الذهب ج 3 / ص 4.

لقوله في معرض ذكره لسنة خمسين: (قيل)، وهو دليل على تضعيفه، فهو لا يتطرق الى ما عليه الاكثر أنه قتل عام (51هـ)، وقد ذكر بعض المؤرخين ما ذكره المسعودي، ولكن بتعبير التضعيف (قيل)، والاصح ان وفاته سنة (51هـ). ولقنله حكاية سوف نتحدث عنها بصورة موسعة.

## أولاده

في الاصابة: (وكان لحجر بن عدي ولدان عبد الله و عبد الرحمن قتلا مع المختار، لما غلب عليه مصعب)<sup>(13)</sup> او (قتلها مصعب بن الزبير صبراً)<sup>(14)</sup>. وذكر المرزباني أن له ولداً قتل معه في مرج عذراء في موقف بطولي ذكرناه في موضعه، وإن ذكر السيد الامين أن المرزباني قد انفرد بهذا القول ولكن السيد الامين نفسه ينقل بعد ذلك عن الشهيد الاول أنه قتل ابنه معه في مرج عذراء، وأن هذا الابن اسمه (همام)<sup>(15)</sup>. وذكره أيضاً صاحب الدرجات الرفيعة<sup>(16)</sup>. ونقل الحاكم في المستدرک حديثاً عن مخشي بن حجر بن عدي عن أبيه. ويظهر منه ان لحجر ابنا آخر اسمه مخشي غير المذكورين<sup>(17)</sup>، وقد ذكرنا الحديث في موضع آخر. ويظهر من مروج الذهب انه كانت لحجر ابنة، انشدت شعراً ترثي اباها فيه، سيأتي ذكرها لاحقاً.

\*\*\*

---

(13) الاصابة ج 1 / ص 315.

(14) المستدرک ج 3 / ص 468.

(15) أعيان الشيعة ج 4 / ص 582.

(16) الدرجات الرفيعة / ص 428.

(17) المستدرک ج 3 / ص 470.

## قبيلته

حجر من قبيلة كندة (وكندة اسمه ثور بن عفير بن عدي بن الحارث ابن أدد بن زيد بن عمر بن عريب بن كهلان)<sup>(18)</sup>، ويذكر فريد وجدي (كندة بطن من كهلان فهم قحطانيون)<sup>(19)</sup>.  
ولكن كندة تاريخ ضخم، قلّ أن حصل لغيرها من القبائل، فقد كونت في مرحلة زمنية معينة دولة في اليمن، وأخرى في الحجاز، كما يقول ذلك صاحب كتاب نهاية الارب في معرفة انساب العرب: (وبلاد كندة في اليمن، وكان لكندة هؤلاء ملك بالحجاز واليمن)<sup>(20)</sup>.

## أصل كندة

(وأصلهم من البحرين والمشقر، هاجروا الى حضرموت فاقاموا ببلدة اسمها كندة، فكانوا هنالك موالين للحميريين، فاتفق أن حجر بن عمرو أكل المرار، سيد كندة، كان أخا حسان بن تبع ملك حمير من امه، فولاه قبائل معد كلها. ولكن اليعقوبي قال: إن سبب نزوح كندة من حضرموت أن وقع بين القبيلتين حروب طالت حتى كادت تفنيهما فرحلت كندة من اليمن فصارت إلى أرض معد، فجاورتهم، ثم ملكوا رجلاً منهم اسمه مرتع بن معاوية بن ثور، فكان أول ملوكهم، ثم خلفه آخر وآخر حتى الحارث بن عمر بن حجر الذي حاربه النعمان بن المنذر ملك الحيرة وهزمه، ثم تمكن منه وقتله لمنافسة كانت بينهما فبقى اولاده الأربعة يحكم كل منهم في الجهة التي عينه بها أبوه قبل موته، فأغرى النعمان بينهم العداوة فلم يبق بينهما غير اثنين وهما حجر بن الحارث على بني أسد، ومعدي كرب بن الحارث صاحب قيس وعيلان، ثم ثار بنو أسد فقتلوا حجراً، فهبّ ابنه امرؤ القيس بن حجر - الشاعر المشهور - للأخذ بثأره، فأوقع ببني أسد، ثم قصد قيصرأ ليمده بجنود فمات بالقسطنطينية. وقيل بل سمه قيصر فضعفت دولة كندة، ولم يبق منها إلا معدي كرب بن الحارث على بني قيس وبني عيلان، وأمراء آخرون لهم سيادة على بعض القبائل وكان أشهر فروع تلك الدولة في دومة الجندل والبحرين ونجران وغمر ذي كندة فبقيت في كل منها دولة صغيرة حتى ظهر الاسلام، فانقرضت جميعاً. تأسست هذه الدولة في القرن الخامس للميلاد وانقرضت بوفاة امرئ القيس)<sup>(21)</sup>.

(18) تاريخ الكوفة / ص 197.

(19) دائرة معارف القرن العشرين ج 6 / ص 243.

(20) نهاية الارب / ص 374.

(21) دائرة المعارف، فريد وجدي ج 6 / ص 243 (بتصرف).

ويظهر من هذا الحديث أن كندة كونت دولة في اليمن زاحمت بها دول الحميريين، مما أدى إلى نشوب الحرب، فالرحيل إلى الحجاز، حيث كونت دولة أيضاً زاحمت بها المناذرة (سيدة العرب آنذاك) وأدى ذلك إلى نشوب الحرب بينهما، وإلى غيرها من الحروب مع سائر القبائل الأخرى، وهذه الحروب أدت إلى انهيار دولة هذه القبيلة الموحدة وزعامتها، وتفرقت إلى قبائل عديدة بظهور الإسلام. ولم يبق منها إلا عنوانها الذي كان لها ذات يوم، دولة واسعة موحدة.

وابان الفتوحات الإسلامية التي زحفت على الفرس والروم، والتي بدأ نشاطها منذ عهد الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) ، بعد أن تجمعت القبائل تحت ظل راية الإسلام، ونفخ فيها الروح الإسلامية، وحفزت المسلمين، على نشر هذه المبادئ الإسلامية في أرجاء العالم، والتصدي لهجمات الآخرين، زحفت هذه القبائل لكي تهز عروش قيصر وكسرى، وأن تدخلت بعد ذلك في بعض الفتوحات بعض الأهداف الأخرى التي لا تتلاءم والتعاليم الإسلامية الحققة<sup>(22)</sup> وهذه إحدى الأسباب في تعرب بعض القبائل عن موطنها الأصلي.

وبعد استقرار الحروب، رأى المسلمون حاجتهم إلى اتخاذ موطن لهم في هذه البلاد الغربية والبعيدة عن بلادهم، فاقام البعض منهم في الكوفة. فبعد أن اسقط العرب - المسلمون - المدائن عاصمة الامبراطورية الساسانية، وثبتت اقدمهم في العراق، أرادوا أن يبنوا لهم دار هجرة تكون محلاً لاقامتهم، ومعسكراً لحامياتهم التي بها يوطدون سلطانهم على العراق، ومن الواضح أن الأسباب التي دفعت المسلمين للاستيطان في البلدان المفتوحة، عديدة ولا تنحصر في سبب واحد، فمنها أسباب دينية، ومعيشية، واجتماعية وغيرها.

وكان المسلمون قد اقاموا بالمدائن أول الأمر وبنوا بها المساجد غير أنهم استوخموها واستوبأوها، وكتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص بضرورة تركها وارتياح غيرها، ويروى أن سعداً ارتاد أماكن مختلفة فلم ترقه، إما لعدم صلاحها للأغراض الحربية، أو لعدم توافر الشروط الصحية فيها، وأخيراً اهتدوا إلى أرض الكوفة غربي الفرات، التي توفر فيها الشروط المذكورة، العسكرية، والصحية والطبيعية، وبعد تخطيط الكوفة قسمت الأماكن الأخرى، وعرف كل حيٍّ بمن نزل من العرب).

واختلفت الروايات في تاريخ بناء الكوفة، ولعل الأكثر يرجح أنها بنيت عام (17) هجرية، أما موقع كندة، فيذكر الشيخ علي الشرقي نقلاً عن تاريخ الكوفة: (وكانت أرباع الكوفة تنقسم إلى خمسة عشر منهاجاً.. منهاج الربع الثاني - وموقعه في جهة القبلة جنوباً - محلات بني أسد ونخع وكندة والازد)<sup>(23)</sup>.

---

(22) يراجع في هذا المجال كتاب الحياة السياسية للإمام الحسن (عليه السلام) للسيد جعفر مرتضى العاملي ص117، وكتابه الآخر سلمان الفارسي، ففيه بحث دقيق حول واقع الفتوحات.

(23) تاريخ الكوفة / ص 142.

وهكذا رأينا أن كندة كسائر القبائل الأخرى تسكن الكوفة. وإذا علمنا أن حجراً كان من زعماء قومه، إضافة إلى أن كندة كانت في يوم من الأيام من القبائل المالكة، فلا بد أن يتميز حجر عن سائر الأفراد بحكم بيته، وعن بقية القبائل الأخرى بحكم قبيلته بصفات وخصائص يتميز بها أمثال هؤلاء الأفراد المنحدرين عن بيوت وقبائل مالكة، إلا أننا لا ننكر أن القسم الأكبر من صفاته العالية تسرب إليه من خلال عقيدته الإسلامية، ويعتقد السبتي، إن حجراً كان شريفاً شجاعاً رئيساً، وهذه الصفات لم يقدمها الإسلام إليه فحسب، بل وصلت إليه أيضاً من خلال الوراثة والبيئة، بعد ما عرفنا ما لهذين العاملين من تأثير في شخصية الفرد في طفولته.

ومع ذلك فلم يقدم لنا التاريخ توضيحاً عن طفولة حجر، إلا أن المزايا والصفات التي امتاز بها في كبره تنبئ عن طفولته، وعن تربيته ووراثته.

## اسلامه وصحبته

### اسلامه:

لم يحدّد زمان اسلامه، وهناك كلام واحد يكرره اكثر المؤرخين الذين تحدثوا عن حجر، ربما دل على اسلامه في حياة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، (انه وفد على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) مع أخيه هانئ بن عدي)<sup>(24)</sup>، وقد تقدم في الحديث عن ولادته ووفاته، وسيأتي حين الحديث عن صحبته، ما يلقي الضوء على اسلامه، ولكن لم يعين زمان اسلامه، ولو اردنا ابداء الرأي فيه، فلا يكون الا تخميناً، وقد حاول السبتي ذلك فقال: (وليس من السهل أن نحدد وقت اسلامه، ويلوح انه كان متأخراً، وربما كان بعد فتح مكة، ومن هنا يتبين لنا ان صحبته لم تتجاوز السنتين)<sup>(25)</sup>، ولكن هذا لا يعدو ان يكون تخميناً.

ولعل الحق انه اسلم في حياة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم). يدل على ذلك وفادته على الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وملاقاته إياه في حياته، وما ذكره مترجموه انه كان من الصحابة، وما ذكر له من أحاديث رواها عن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)بنفسه.

والظاهر ان وفادة حجر - بملاحظة عمره - كانت على الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)في المدينة، ولعلها في أواخر حياته(صلى الله عليه وآله وسلم)، وبعد قوة الاسلام وانتشاره، حيث وفد آنذاك الكثير من القبائل والافراد من اجل الاسلام على يدي الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذا ما يؤيد ان مقصود حجر من الوفادة هو الاسلام.

والملاحظ أن إسلامه منذ البداية كان عن وعي وعمق، ولذلك اعتبر من فضلاء الصحابة بالرغم من صغر سنه، وتأخر إسلامه.

### صحبه:

تحدثنا عن تعريف الصحابي، والتابعي والمخضرم، في دراستنا لابي الاسود الدؤلي، ويظهر مما ذكرناه هناك أن حجراً صحابي وذلك لان الصحابي هو من لاقى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وهو مسلم، ومات على اسلامه ومثل هذا التعريف ينطبق على حجر. وهناك آراء اخرى في تعريف الصحابي.

وقد عرفنا، ان حجراً وفد على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) مع أخيه هانئ بن عدي، وكان من الصحابة. وروى بعض أحاديثه، إضافة الى تصريح المترجمين والمؤرخين انه من الصحابة. قال في الاستيعاب:

---

(24) الطبقات ج 6 / ص 217.

(25) حجر بن عدي / ص 68.

(وكان حجر من فضلاء الصحابة، وصغر سنه عن كبارهم)<sup>(26)</sup>، وقال في اسد الغابة: (وكان - حجر - من فضلاء الصحابة)<sup>(27)</sup>، ويقول ابن سعد: (قال: وذكر بعض رواة العلم انه وفد على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) مع اخيه هانئ بن عدي، وكان حجر جاهلياً إسلامياً)<sup>(28)</sup>، وقال عنه ابن عساكر: (حجر بن عدي الادبر بن معاوية بن عدي يتصل نسبه بكهلان بن سبأ. وفد على النبي وكان مع الجيش الذي فتح الشام)<sup>(29)</sup> وفي الاصابة: (انه وفد على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) هو وأخوه هانئ بن عدي)<sup>(30)</sup>، ولعل وفادته هو واخيه على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) كانت من اجل الاسلام على يديه.

اضافة الى احاديث رويت عنه انه رواها عن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه. ولكن هناك من القدماء والمعاصرين من اعتبر حجراً من التابعين، وانكر اعتباره من الصحابة. ففي الاصابة: (وأما البخاري وابن ابي حاتم عن ابيه وخليفة بن الخياط وابن حبان فذكروه في التابعين، وكذا ذكره ابن سعد في الطبقة الاولى من أهل الكوفة، فاما ان يكون ظنه آخر، واما ان يكون ذهل، وروى ابن قانع في ترجمته من طريق شعيب بن حرب عن شعبة عن ابي بكر بن حفص عن حجر بن عدي رجل من اصحاب النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ان قوماً يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها)<sup>(31)</sup>. اذن فصاحب الاصابة نفسه يناقش من ذهب الى أن حجراً كان تابعياً.

وفي دائرة المعارف الاسلامية: «حجر بن عدي الكندي اول شهداء الشيعة، وتميل هذه الطائفة الى تلقيبه (بصاحب النبي) ولكن اقدم الثقات ينكرون ذلك»<sup>(32)</sup>. ولكن ما ذكرناه يرد هذا القول. واعترض السبتي على هؤلاء المنكرين لكونه صحابياً: (وأول ما نلاحظ ان هؤلاء لم يقدموا دليلاً على انه لم يكن صحابياً وارسلوا القول ارسالاً، والذي لا شك فيه انه صحابي، وعليه إجماع الشيعة وهو سلفهم)<sup>(33)</sup>.

ولكن الملاحظ ان علماء الشيعة، وكتب رجالهم لم تصرح بانه صحابي، بل جميعها ذكر أنه من اصحاب امير المؤمنين(عليه السلام)، ولكن كلمات علمائنا لم تنكر كونه صحابياً. وانما ذكرت أنه كان من اصحاب أمير المؤمنين(عليه السلام)، وهذا لا ينفي كونه صحابياً. نعم ذكر في الدرجات الرفيعة نقلاً عن غيره (انه حامل راية النبي(صلى الله عليه وآله وسلم))<sup>(34)</sup>. ولكن لم اجده في غيره. والسيد الامين اثبت

(26) الاستيعاب ج 1 / ص 313.

(27) اسد الغابة ج 1 / ص 385.

(28) الطبقات ج 6 / ص 217، المستدرک ج 3 / ص 468.

(29) تاريخ ابن عساكر ج 4 / ص 85.

(30) الاصابة ج 1 / ص 314.

(31) الاصابة ج 1 / ص 314.

(32) دائرة المعارف الاسلامية ج 7 / ص 320.

(33) حجر بن عدي / ص 67.

(34) الدرجات الرفيعة / ص 423.

صحابته بمختلف الأدلة<sup>(35)</sup>. كما ان بعض كتب علمائنا قد نقلت اقوال اهل السنة التي تصرح بانه كان من الصحابة دون ان تناقشه، ولعله يؤيد امضاء هذا الرأي، كما يلاحظ ذلك في تنقيح المقال، وبهجة الآمال وغيرهما.

على كل حال. فلعل الرأي الاصح ان حجراً لم يكن من التابعين، وانما كان من الصحابة، لما ذكرناه من أدلة وشواهد على ذلك.

ولعل السبب في عده من التابعين - في رأي البعض - انه عاصر الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) فترة قصيرة، وكان صغير السن آنذاك، وكانت علاقته أكثر بالامام(عليه السلام) وسائر الصحابة من أنصاره، ولم يذكر التاريخ مشاركته في الغزوات والوقائع والحوادث في زمن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) إلا ما ذكره الشهيد ولم يذكره غيره. كما لم يذكر الشهيد ابن حمل الراية، ولعل العلماء وسعوا مفهوم (التابعي) تجوزاً بما يشمل بعض الصحابة أيضاً ممن كانوا صغار السن في حياة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، او لم يلاقوا الرسول إلا فترة قصيرة جداً.

ومما يثير التساؤل اكثر حول صحابيته، هو اختفاؤه في زمان أبي بكر، وحوادث السقيفة، مع انه كان من الموالين للامام(عليه السلام)، ولم يذكر اي دور او موقف عنه في مثل هذه الحوادث، ويدل كلامه وأحاديثه ان ولاءه للامام(عليه السلام) كان منذ بدايات اسلامه.

لقد كان صغير السن، ولم يسلم الا في اواخر حياة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، ولم يبق في المدينة مع الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) بعد اسلامه ولقائه به بل رجع الى بلده. ويمكن ان يدل على ذلك قولهم: (وفد على..) مما يشعر بانه لم يستقر في اقامته كثيراً.

وذهب قاموس الرجال الى كونه صحابياً، فناقش من لم يعده من الصحابة بقوله: ثم عدم عده من أصحاب رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) غفلة، وقد اتفقت العامة كابن قتيبة وابن عبد البر وابي موسى والجزري على كونه منهم، وأما عدّ الفضل بن شاذان له من التابعين فالظاهر انه اشترط في الصحابة الكبر والرواية، وهو كان من صغارهم ولم ينقل عنه رواية، والشيخ لم يشترط ذلك، بدليل انه عد في أصحاب رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) محمد بن أبي بكر الذي ولد في حجة الوداع<sup>(36)</sup>.

ولكن ذكرنا بعض الاحاديث التي نقلها حجر عن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم). ولعل الخلاف حول صحابة حجر ناشئ من الخلاف حول تعريف (الصحابي). وقد ذكرت عدة تعريفات للصحابي، ذكرها الشيخ المامقاني في مقباس الهداية، وابي الصلاح في مقدمته، وغيرهما من كتب الدراية والحديث.

(35) اعيان الشيعة ج 4 / ص 572.

(36) قاموس الرجال ج 3 / ص 124.

ففي الدرجات الرفيعة «في تعريف الصحابة وهو على اظهر القول من لقي النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) مؤمناً به ومات على الاسلام ولو تخللت رده. والمراد من اللقاء ما هو اعم من المجالسة والمماشاة ووصول احدهما إلى الآخر وان لم يكالمة..».

وقال أيضاً: «قيل: ان الصحابي هو من طالت مجالسته له(صلى الله عليه وآله وسلم) على طريق السمع والاخذ عنه، فلا يدخل من وفد عليه وانصرف بدون مكث. وهو قول اصحاب الاصول. وحكي عن سعيد بن المسيب انه قال: لا يعد صحابياً الا من اقام معه(صلى الله عليه وآله وسلم) سنة او سنتين وغزا معه غزوة او غزوتين<sup>(37)</sup>.

وذكرت تعريفات اخرى للصحابي، تلاحظ في الكتابين المذكورين.

ولعل من اعتبر حجراً تابعياً، نظر لتعريف الصحابي بانه من طالت مجالسته مع الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وروى عنه كثيراً، ولا يكفي الوفود عليه(صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد كان حجر من صغار الصحابة، ومن اعتبره صحابياً نظر الى تعريفه بانه من لقي الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وهو مسلم ومات على اسلامه، وبذلك نجمع بين اقوال العلماء حول صحابية حجر، ونرفع التعارض والتنافي بينها. ولا بد ان نشير الى ظاهرة اعترف بها المؤرخون، وهو تفوق حجر بالرغم من صغر سنه على بعض الصحابة الكبار، فكيف فضل عليهم، مع انه لا زال في دور التغيير والتحول من مرحلة الجاهلية إلى مرحلة الاسلام، وكيف لم يتأثر برواسب الجاهلية ومخالفاتها، وكيف تحول الى ذلك المؤمن المفضل وهو في دور الانقلاب؟

هذه اسئلة تجيب عنها المميزات التي كانت تتمتع بها شخصية حجر، التي انكشفت أكثر في مستقبله، من الوعي والثبات على العقيدة، وبفضل مؤهلاته الوراثية والتربوية، وهذه المؤهلات قد زودته بقوة في الايمان والعقيدة.

وأما عدم تززع إيمانه الجديد بترسبات الجاهلية، فيعلله السبتي: «بأن اسلامه كان متأخراً لأن حجراً تقدم الى الاسلام ولم تكن قد اختمرت في نفسه المبادئ الجاهلية. تقدم وهو فارغ من النوازع الوثنية الجاهلية وعوامل الوراثية»<sup>(38)</sup>.

اذن. فانما فضل على بعض الصحابة الكبار الذين عاشوا الجاهلية مدة اطول، لانه كان صغير السن حينما عاصر الجاهلية ودخل الاسلام، لذلك لم تؤثر فيه ظروف الجاهلية ورواسبها كثيراً، بالاضافة الى ما ذكرناه من مؤهلاته الوراثية والتربوية وخصاله النفسية، من الفتوة، والثبات والوعي، ظهرت آثارها في مستقبل أيامه، ونضيف لذلك انه اتجه في عقيدته منذ بدايات اسلامه لموالاة الامام علي واهل البيت(عليهم السلام)، حيث رأى ان ولاءهم وخطهم يمثل طريق السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، وآمن به

(37) الدرجات الرفيعة / ص10، ومقباس الهداية للمامقاني / ص114، ومقدمة ابن الصلاح / ص172.

(38) حجر بن عدي / ص75.

عن عمق ووعي، متجرداً عن كل المطامع الدنيوية، وقد اثبتت التجارب ان من آمن بالأئمة وبخطهم عن عمق ووعي، لا لاغراض شخصية أو اطماع دنيوية او عوامل تقليدية، لم يتزعزع ايمانه تجاه كل التحديات والعقبات.

ومما يدل على هذه الخصال الحميدة فيه، تقواه والتزامه الشديد بالاحكام والتعاليم الشرعية، فانه كان مواظباً على ممارسة الواجبات والمستحبات والامر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى في اشد الظروف، وهذه الحالة الشرعية، اضافة لخصاله التي ذكرناها، قد اوجدت فيه ملكة الزهد بهذه الدنيا، والشجاعة، وعدم التخوف من مخاطر الجهاد في سبيل عقيدته. فان هذا الالتزام وتلك المواظبة كما انهما ناشئان من ايمان الانسان وتقواه واراادته المؤمنة، فإنهما بدورهما يزيدان من قوة تقواه واراادته المؤمنة، لما ذكره علماء الاخلاق من أن حقيقة الانسان تتمثل بروحه، وروحه تتمثل بملكاته النفسية، وملكاته يصنعها التعود على ممارسة الافعال الملائمة في طبيعتها لتلك الملكات. وحجر كان قد تعود على الاخلاق الفاضلة، وممارسة الوظائف الشرعية، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهر بالحق بشجاعة مهما كانت الظروف. وبذلك تطبعت روحه بما يتلاءم وهذه الممارسات، وكل ذلك ناتج من عمق معرفته وايمانه بالله ورسوله(صلى الله عليه وآله وسلم)وشريعته، وولائه لاهل البيت(عليهم السلام)، وعدم انشاده لادران الدنيا واغلالها واهوائها المنحرفة، ولما بذله من مجاهدة في سبيل هذا الالتزام والوصول لهذه الملكات (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)، فلم يصل لما وصل اليه بدون مجاهدة ومعاناة.

اذن فالمؤمن الملتزم في جميع لحظات حياته بتعاليم الشريعة الاسلامية، يزرع فيه هذا الالتزام قوة الارادة والعزيمة، فإنه يشعر بانه قد انجز بحسب امكانه ما عليه من تكاليف، وسيلقي الله بنفس مطمئنة، وهو عنه راض، وانما يخاف لقاء الله اولئك الغارقون بالجرائم والذنوب، لذلك يواصل مثل هذا المؤمن جهاده بكل بسالة وشجاعة، بالرغم من كل وسائل الاغراء والترهيب، كما هو الملاحظ في حياة حجر. ويتجلى التزام حجر في الكثير من الشواهد التي نقلها التاريخ. وسنذكرها خلال هذه الدراسة، اضافة الى ما ذكره المؤرخون عنه بأنه «راهب اصحاب محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)» بكل ماتحملة كلمة الراهب من مداليل، وانه «كان من عباد الله وزهادهم، وكان باراً بامه، وكان كثير الصلاة والصيام، وما احدث إلا تَوْضُأً وما تَوْضُأً إلا صَلَّى»، وانه «من المختبين» اي الخاشعين كما عن الامام الحسين(عليه السلام)، ولم يفارقه هذا الالتزام حتى في حالة استشهاده.

ولاجل التزامه هذا افاض الله تعالى عليه مدده الغيبي، وارتقى الى درجة عالية، كما قال عنه المؤرخون: «وكان صاحب كرامة واستجابة دعاء». وينقل صاحب الاصابة شاهداً لكراماته «ان حجراً اصابته جنابة - في مرج عذراء - فقال للموكل به: اعطني شرابي اتطهر به ولا تعطني غداً شيئاً. فقال له: اخاف ان تموت عطشاً فيقتلني معاوية، فدعا الله فانسكبت له سحابة ماء فاخذ منها الذي احتاج اليه، فقال له اصحابه: ادع الله يخلصنا، فقال: اللهم خزلنا، فقتل وطائفة منهم».

اذن.. فلم يفكر في نفسه، وانما كان يفكر في دينه وهو في اشد لحظات حياته، وبهذا الالتزام والتسليم لله، بلغ هذه الدرجة العالية من الايمان، وتفوق على الكثير من الصحابة بالرغم من صغر سنه.

### وثاقته رجالياً:

لم يتأمل أحد في مدح حجر واعتباره، وقد شهد بذلك الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)والامام علي والحسنان(عليهم السلام)، وسيأتي نقل اقوالهم خلال هذه الرسالة، من خلال الانباء بقتله، او استنكار قتله، حيث مدحوه بأفضل المدح.

وكذلك مدحه واكد على ايمانه وفضله الكثير من الصحابة والتابعين والعلماء. كما ان سيرة حياته وثباته على عقيدته حتى الاستشهاد، ومواقفه في هذا السبيل واسناد الائمة(عليهم السلام) المناصب والمهام اليه، وغيرها من الشواهد دالة على مدحه واعتباره.

ولم يختص مدحه بعلماء الشيعة وكتابهم، بل ان اهل السنة في كتبهم اتفقوا على مدحه واعتباره. وقد نقلنا، وسننقل خلال هذه الدراسة، الكثير من هذه الشواهد والاقوال التي تدل على ذلك، ولا حاجة معها الى الاستدلال عليه، ولكن ننقل هنا بعض الاقوال في مدح حجر ووثاقته، حتى نستدل بذلك على بطلان وانحراف الذين شهدوا ضده، او الذين ارتكبوا جريمة مطاردته وقتله، ولم يكن ذنبه إلا انه آمن بالله العزيز الحميد، فكان هو وجماعته كاصحاب الاخدود، كما عبر عنهم بذلك الامام امير المؤمنين(عليه السلام) وشبههم بهم.

وننقل هنا اقوال علماء الشيعة واهل السنة في حقه، وقد وصفه الامام الحسين(عليه السلام) بانه من «العابدين المختبين» اي الخاشعين.

قال عنه الشيخ الطوسي في رجاله: «من اصحاب علي(عليه السلام)حجر بن عدي كان من الابدال»<sup>(39)</sup>. وقال عنه ابن داود الحلي: «حجر بن عدي من عظماء اصحابه - اي الامام علي(عليه السلام) -»<sup>(40)</sup>. وقال عنه العلامة الحلي في رجاله: «انه من اصحاب امير المؤمنين(عليه السلام)وكان من الابدال»<sup>(41)</sup>. وفي الدرجات الرفيعة: «وهو يعد من الرؤساء والزهاد، ومحبيه واخلاصه لامير المؤمنين(عليه السلام) أشهر من أن يذكر»<sup>(42)</sup>.

وفي الوجيزة: «وابن عدي الكندي من الشهداء السعداء»<sup>(43)</sup>. وفي اسد الغابة: «وكان من فضلاء الصحابة، وكان مجاب الدعوة، اخرج ابو عمر وابو موسى»<sup>(44)</sup>، والمراد من مصطلح (الفاضل) هو الخير والمتدين.

---

(39) رجال الشيخ الطوسي / ص38.

(40) كتاب الرجال / ص 70.

(41) رجال العلامة الحلي / ص 59.

(42) الدرجات الرفيعة / ص 423.

(43) الوجيزة / ص29.

وفي طبقات ابن سعد: «وكان ثقة معروفاً، ولم يرو عن غير علي شيئاً»<sup>(45)</sup>.

وقال عنه الحاكم في المستدرک: «وهو راهب أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)»<sup>(46)</sup>.

وغيرها من الأقوال من الشيعة وأهل السنة في اعتباره ومدحه.

وقال الشيخ المامقاني بعد أن نقل أقوال العلماء: «أقول: مقتضى ما سمعت كله أن الرجل فوق الوثاقة، وفي غاية الجلالة، ولذا عدّه العلامة وابن داود في القسم الأول، وعدم تعرّض النجاشي والشيخ في الفهرست لحاله، إنما هو لعدم بروز أصل أو كتاب منه، وقصرهما على ذكر المصنفين من أصحابنا فلا وجه لما في الحاوي من عدّه من الحسان، ولا لما في الوجيزة من الاختصار على أنه من الشهداء السعداء، ولا لما في البلغة من أنه من الشهداء الأبدال، بل كان من اللازم أن يقولوا: من أجلاء العدول و الأخيار المختوم أمرهم بالشهادة على يد أمير الأشرار، وكفاك في فضله أن العامة مع اعترافهم بكونه من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) اعترفوا بفضله»<sup>(47)</sup> ثم ينقل أقوال أهل السنة في حقه.

وقال عنه الشيخ الأميني في الغدير: «حجر بن عدي من عدول الصحابة، أو أحد الصحابة العدول، راهب أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كما قاله الحاكم. من أفاضل الصحابة وكبارهم مع صغر سنّه، مستجاب الدعوة، كما في الاستيعاب. وكان ثقة معروفاً كما قال ابن سعد. وقال المرزباني: إنه وفد إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان من عباد الله وزهادهم، وكان باراً بأمّه، وكان كثير الصلاة والصيام. وقال أبو معشر: كان عابداً وما أحدث إلا تَوْضُئاً وماتَوْضُئاً إلا صلى. وكان له صحبة ووفادة وجهاد وعبادة كما في الشذرات، وكان صاحب كرامة واستجابة دعاء مع التسليم إلى الله»<sup>(48)</sup>.

وقد لخص الشيخ الأميني أقوال العلماء ومترجميه في حقه.

وذكره السيد الأمين في الأعيان، وذكر فضائله وأحواله بما يدل على الوثاقة، أو بما يزيد على الوثاقة<sup>(49)</sup>.

وقال عنه الشيخ التستري في قاموس الرجال: «وبالجملة جلاله لا يحتاج إلى برهان»<sup>(50)</sup>.

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن وثاقة الرجل لا تنحصر في ذكره بلفظ (ثقة) أو (عدل) بل هناك الفاظ وقرائن أخرى تشير إلى مدحه بأفضل المدح والتقدير، تدل على هذا المعنى<sup>(51)</sup>. وربما فاقت الوثاقة المصطلحة أحياناً، وقد استفاد بعض العلماء هذا المعنى من هذه الأقوال والشواهد، كالسيد الأمين في

(44) اسد الغابة ج 1 / ص 385.

(45) الطبقات ج 6 / ص 220.

(46) المستدرک ج 3 / ص 468.

(47) تنقيح المقال ج 1 / ص 257.

(48) الغدير ج 11 / ص 53.

(49) اعيان الشيعة ج 4 / 571.

(50) قاموس الرجال ج 3 / ص 131.

(51) لاحظ مقدمة تنقيح المقال / ص 197.

أعيان الشيعة، والأميني في الغدير، وغيرهم، كما يجدها القارئ، ومن هذه القرائن والامارات، تعيينه من قبل المعصوم (عليه السلام) لاداء الشهادة او تحملها، لانه تشترط العدالة في الشاهد، او محبة المعصوم له، وتعيينه والياً على بلدة او قوماً على اموال الوقف والصغار او وكيلاً من قبله في الامور الدينية وغيرها، من الامارات التي ذهب البعض الى دلالتها على وثاقة الشخص، سواء تقبلها العلماء او ناقشوا في مدى دلالتها على ذلك<sup>(52)</sup>.

على كل حال فان هذه الأقوال والاخبار والسيرة وغيرها، شواهد وقرائن موجبة للقطع أو الاطمئنان بوثاقته اصطلاحاً، فلا مجال للتأمل في ذلك، بأن يعتبر حديثه حسناً في اصطلاح علم الدراية. وقد ذكرنا أن الشيخ الطوسي قال عن حجر: «إنه كان من الابدال»، وقد فسّر السيد الامين واحد الابدال، كما فسّره غيره بقوله: (رجل بدل بالكسر ويحرك شريف كريم والجمع ابدال). ويظهر منه موافقته لهذا التفسير، ولعل هذا المعنى يناسب ما ذكره البعض في تفسير الابدال (قال أبو الحسن الخوارزمي: انما سُمّوا أبدالاً لانهم ابدلوا من كل خلق دني بخلق سني)<sup>(53)</sup>، ولكنني أظن أن هذا هو المعنى اللغوي، وأما المعنى الاصطلاحي للفظ الابدال، فلعله أعمق من هذا المعنى، وهو ما ذكره الشيخ الطريحي في مجمع البحرين: (وفي الحديث: «إن جامع ليلة الجمعة بعد العشاء الآخرة فإنه يرجى أن يكون الولد من الابدال»، الابدال: قوم من الصالحين لا تخلوا الدنيا منهم إذا مات واحد أبدل الله مكانه آخر)<sup>(54)</sup>.

وهذا المعنى أكثر ملائمة لسيرة حجر وحياته وأعماله ومواقفه، ولأقوال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة (عليهم السلام)، والعلماء والمؤرخين في حقه.

وفي النهاية لابن الاثير في مادة (بدل): «في حديث علي (رضي الله عنه): (الابدال بالشام) هم الاولياء والعباد، الواحد بدل كحمل وأحمال، وبدل كحمل، سُمّوا بذلك لأنهم كلما مات واحد منهم أبدل بآخر»<sup>(55)</sup>. وفي سفينة البحار في مادة (بدل) ذكر عدة معاني للفظ الابدال، ومنها: (ويحتمل أن يكون المراد به خواص أصحاب الأئمة (عليهم السلام))<sup>(56)</sup>.

وفي لسان العرب: «قال ابن السكيت: سَمِيَ المبرّزون في الصّلاح أبدالاً لانهم أبدلوا من السلف الصّالح، والابدال: الاولياء والعباد، سُمّوا بذلك لانهم كلما مات منهم واحد أبدل آخر»<sup>(57)</sup>.

---

(52) يلاحظ في مدى دلالة هذه الامارات على الوثاقة أو الحسن لمعناها المصطلح كتاب تنقيح المقال 1 / 197، وقاموس الرجال 1

/ 70، ومعجم رجال الحديث 1 / 87، وبحوث في علم الرجال ص 15.

(53) آداب النفس 1 / 160.

(54) مجمع البحرين ج 5 / ص 319.

(55) النهاية في غريب الحديث والاثار ج 1 / ص 107.

(56) سفينة البحار ج 1 / ص 64.

(57) لسان العرب ج 11 / ص 49.

وهذا المعنى هو المناسب لحجر، ولما وصف به من أوصاف وفضائل من أنه راهب أصحاب محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)، وأنه مستجاب الدعوة وغيرها من الصفات، وكذلك هو المناسب لذكره في كتب الرجال.

### أحاديث و روايات من طريق حجر

لم تنقل عن طريق حجر أحاديث وروايات كثيرة، وأكثر ما رواه عن الامام أمير المؤمنين(عليه السلام) بسبب علاقته الشديدة به، وولائه له. وفي الطبقات: «كان ثقة معروفا لم يرو عن غير علي شيئاً»<sup>(58)</sup>، كما ذكر له بعض الاحاديث عن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم). وننقل هنا بعض الاحاديث والروايات التي نقلت من طريقه عن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) أو الامام(عليه السلام) أو غيرهما:

ذكر الحاكم في المستدرک: «عن مخشي بن حجر بن عدي عن أبيه أن نبي الله(صلى الله عليه وآله وسلم) خطبهم فقال: أي يوم هذا؟ فقالوا: يوم حرام. قال: بأي بلد هذا؟ قالوا: بلد حرام، قال: بأي شهر هذا؟ قالوا: شهر حرام، قال: فإنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، كحرمة شهركم هذا، كحرمة بلدكم هذا، ليلبغ الشاهد الغائب، لاترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»<sup>(59)</sup>.

وذكر في الاصابة: «روى ابن قانع في ترجمته، (أي ترجمة حجر بن عدي) من طريق شعيب بن حرب عن شعبة عن ابي بكر بن حفص عن حجر بن عدي رجل من أصحاب النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «إن قوماً يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها»<sup>(60)</sup>.

وفي الطبقات بسنده عن غلام لحجر بن عدي الكندي قال: «قلت لحجر: اني رايت ابنك دخل الخلاء ولم يتوضأ، قال: ناولني الصحيفة من الكوة. فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما سمعت علي بن ابي طالب يذكر: أن الطهور نصف الايمان»<sup>(61)</sup>.

يظهر منه أن له صحيفة أو كتاباً سجل فيها الاحاديث التي سمعها من الامام(عليه السلام)، فان مصطلح (الصحيفة) يطلق على الكتاب الذي سجل فيه الاحاديث<sup>(62)</sup>.

(58) الطبقات ج 6 / ص 220.

(59) المستدرک ج 3 / ص 470.

(60) الاصابة ج 1 / ص 313.

(61) الطبقات ج 6 / ص 220.

(62) علوم الحديث ومصطلحه / ص 12 ، لسان العرب ج 9 / ص 186.

وروى ابن عساكر في تاريخه عن حجر انه قال: «سمعت علي بن ابي طالب يقول: الوضوء نصف الايمان» وروى ابن عساكر ايضاً باسناده إلى حجر بن عدي قال: «سمعت شراحيل بن مرة يقول: سمعت النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول لعلي: ابشر يا علي، حياتك وموتك معي»<sup>(63)</sup>.

وفي شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: «وروى شريك قال: اخبرنا عبدالله بن سعد عن حجر بن عدي قال: قدمت المدينة فجلست الى ابي هريرة، فقال: ممن انت؟ قلت: من اهل البصرة، قال: ما فعل سمرة بن جندب؟، قلت: هو حي، قال: ما احد احب اليّ طول حياة منه، قلت: ولم ذاك؟ قال: ان رسول(صلى الله عليه وآله وسلم) قال لي وله ولحذيفة بن اليمان: «آخركم موتاً في النار»، فسبقنا حذيفة، وانا الآن أتمنى ان اسبقه، قال: فيقى سمرة بن جندب، حتى شهد مقتل الحسين»<sup>(64)</sup>.

واما الاحاديث والروايات التي وردت في حق حجر وقتله، فقد ذكرنا بعضها خلال هذه الرسالة، كما ان بعض هذه الروايات عن طريق حجر نفسه، كما سيأتي.

---

(63) تاريخ ابن عساكر ج 4 / ص 85.

(64) شرح نهج البلاغة ج 4 / ص 78.

## حياته في ظل الاسلام

تحدثنا عن عمق إيمان حجر ووعيه، وقد دفعته هذه العقيدة إلى التضحية بكل شيء، في سبيل الدفاع عن الاسلام ونشره وتحقيق أهدافه المنشودة، وبما ان المشركين والكفار والطغاة رأوا في الاسلام عقبة كأداء أمام أطماعهم، وأنه سيبدّد تقاليدهم ومعتقداتهم وحياتهم الجاهلية، فقد وقفوا بوجهه، وحاربوه بمختلف الاساليب والممارسات العسكرية والإعلامية وغيرها، لذلك كان من الضروري للمسلمين الرساليين الدفاع عن هذا المولود الجديد، والحفاظ عليه من كل التحديّات، بالإضافة إلى أن الاسلام شريعة عامة للبشر كلهم، ولا تقتصر على قريش أو جزيرة العرب أو العرب وحدهم، بل لابد من نشرها لشعوب العالم كافة. ولسنا في مجال الحديث عن مبررات ودوافع الجهاد بقسميه، الابتدائي والدفاعي في الاسلام، فله موضع آخر، ولكن نشير إليها بإيجاز. ولعل اهم مبررات الجهاد الابتدائي، وقد تكون الحكمة في تشريعه، هي:

1 - ازالة العقبات عن طريق الرسالة الالهية، حيث هناك عقبات من افراد أو معتقدات أو تقاليد ربما تسمى بعوامل الفتنة تمنع من وصول صوت الرسالة للشعوب، أو تمنع من الالتزام والعمل بها، لذلك لزم رفع هذه العقبات، ولعل الآية الشريفة تشير لهذا العامل (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة)، وتوضيح الفتنة وهذا العامل اكثر في محله، وبعد ان تزول عوامل الفتنة، فان الفرد أو المجتمع سوف يتعرف على مبدئه بكل حرية وموضوعية، ولا يكره الاسلام احداً على اعتناقه (لا اكراه في الدين) والتاريخ شاهد على ذلك وأنه حين زالت عوامل الفتنة اندفع الناس للاسلام عن اختيار ووعي.

2 - الدفاع عن القيم والحقوق الانسانية، فهناك بعض الحقوق والقيم تملك قيمة مطلقة لا تتحدد بزمان ومكان، ولعل اهمها الايمان بالله بمعناه الصحيح عقيدة ونظاماً، بل انه الاساس المحكم لسائر القيم، ولولاه لفقدت سائر القيم والحقوق الدافع المتين للالتزام بها والثبات عليها، ولو تعرض هذا الحق للاغتصاب، لزم على من تعرض لذلك الدفاع عن حقه، بل ربما وجب على غيره لو تمكن ولو لم يتعرض لذلك، كما لو تعرض انسان للغرق وجب على الآخرين انقاذه، ولو لم يتعرض هو للغرق، أو لم يستنجد الغريق به، فان لسان حاله طلب النجدة، وهكذا من يعيش واقعاً منحرفاً بعيداً عن الايمان، فانه يستنجد بالآخرين للدفاع عن حقه، ولعله لذلك تشير الآية الشريفة (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها)، ولا تعني الآية الشريفة انهم يقولون ذلك، بل ان واقعهم والحالة التي يعيشونها تستنجد وتقول.

وهناك اياد وعوامل مختلفه تعمل على تطبيع الشعوب على هذه الحالة المنحرفة.

ولعل المبررات للجهاد الابتدائي والحكمة فيه غير ما ذكرناه، مع العلم بان العلماء يشترطون اذن المعصوم في الجهاد الابتدائي.

واما مبررات الجهاد الدفاعي العام فلعلها تتلخص بالدفاع عن بيضة الاسلام، التي تتمثل بالدفاع عن وجود الاسلام ومعالمه، أو بالدفاع عن وجود المسلمين، أو بالدفاع عن الحكم الاسلامي الصحيح، حين تتعرض هذه المجالات الثلاثة لخطر الابداء من قبل الاعداء. وقد درسناها اكثر في فصل آخر. وهناك قسم الجهاد الدفاعي الخاص حيث يتعرض الفرد الى هجوم على نفسه أو عرضه أو ماله، وهو مما لا يرتبط بدراستنا.

وتوضيح هذه الاقسام والمبررات وما يتعلق بها من مسائل وبحوث ليس هنا موضع ذكرها، وانما ذكرناها هنا بايجاز ونترك التوسع لمن يريده.

وقد تزعم الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) في البداية هذه الحركة، حركة الدفاع والنشر، ثم المسلمون من بعده، وإن دخلت أحياناً في حركة الفتوح بعض الأغراض التي خرجت بها عن مسارها الاسلامي الصحيح، وهكذا امتدت حركة الفتح من مكة والمدينة، لتهز عروش قيصر وكسرى، ولعبت حرارة العقيدة دوراً كبيراً في تحقيق الانتصارات، وبطبيعة الحال لابد لحجر، بحكم عقيدته وواجبه، أن يندفع للدفاع عن الاسلام ونشره، وكذلك للدفاع عن ولائه للامام(عليه السلام)، الذي وجد فيه الاسلام الاصيل، وطريق الفلاح في الدنيا والآخرة.

ونستطيع تقسيم دور حجر في ذلك الى مرحلتين:

#### دوره قبل خلافة الامام(عليه السلام):

لم يوضح التاريخ مواقف حجر ودوره قبل خلافة الامام(عليه السلام) إلا بعض المقتطفات. ويذكر المؤرخون أنه شارك في حركة الفتح التي ذهبت للشام، وأنه هو الذي فتح مرج عذراء، وبتصريح حجر نفسه كما سيأتي، وأنه قد شارك في معركة القادسية، وأنه من الذين كتبوا إلى عثمان من الكوفة ينصحونه، وأنه من الذين شهدوا موت أبي ذر في الربرة. يقول ابن سعد: «وشهد حجر القادسية، وهو الذي افتتح مرج عذراء»<sup>(65)</sup>.

وفي الاصابة: «وأن حجر بن عدي شهد القادسية، وقتل بمرج عذراء بأمر معاوية، وكان حجر هو الذي افتتحها فقدر أن قتل بها، وقد ذكر ابن الكلبي جميع ذلك»<sup>(66)</sup>.

ويقول ابن عساكر: «وكان - حجر - مع الجيش الذي فتح الشام»<sup>(67)</sup>.

(65) الطبقات ج 6 / ص 217.

(66) الاصابة ج 1 / ص 314.

(67) تاريخ ابن عساكر ج 4 / ص 85.

وفي الكامل: «لما قدم حجر للقتل في مرج عذراء قال: أما والله لئن قتلتموني بها فاني لأول فارس من المسلمين هلك في واديهها، وأول رجل من المسلمين نبخته كلابها»<sup>(68)</sup>.

وفي تاريخ اليعقوبي: أن حجراً قال في مرج عذراء: «وإني لأول من رمى بسهم في هذا الموضع وأول من هلك فيه»<sup>(69)</sup>.

وبعد هذه النصوص، لا وجه لما ذكر في دائرة المعارف الإسلامية: «ويقول الشيعة أيضاً إنه - أي حجر - شهد فتوح الشام الأولى حيث فتح إقليم مرج عذراء، ولكن هذا القول كسابقه لا يستند إلى سند قوي»<sup>(70)</sup>.

والملاحظ أن بعض المستشرقين في كتبهم، وخاصة في دائرة معارفهم، يحاولون تشويه التاريخ الإسلامي ورجال المسلمين، وخاصة التاريخ الإسلامي الصحيح، والرجال المؤمنين بالاسلام الاصيل لاهداف غير مجهولة.

ومع قول المؤرخين بانه كان مع الجيش الذي فتح الشام، فلا يبعد ان يكون اول رجل دخل مرج عذراء في الشام، مع تصريحه وتصريح المؤرخين بذلك، وهو ثقة فيما ينقل، بل يظهر من قول الطبقات بانه هو الذي افتتح مرج عذراء وانه كان قائداً لاحدى الفرق، ولم يكن مقاتلاً عادياً، وهذا ما يتناسب وشخصيته الإسلامية والاجتماعية.

وكان حجر من الافراد الذين شهدوا موت أبي ذر في الربذة، بعد أن نفاه إليها عثمان، حين استنكر عليه تصرفاته وتصرفات عماله المنافية للاسلام. وقد ثبت عن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال عن موت أبي ذر: «انه يشهد موته عصابة من المؤمنين»، وكان حجر من المؤمنين الذين شهدوا موته في الربذة<sup>(71)</sup>.

وهذا القول يدلّ على مدح حجر، وأنه من المؤمنين بشهادة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، لانه ممن شهد موت أبي ذر في الربذة.

ففي الاستيعاب: «ثم خرج - أبودر - بعد وفاة أبي بكر إلى الشام فلم يزل بها حتى ولي عثمان، ثم استقدمه عثمان لشكوى معاوية، فنفاه وأسكنه الربذة، فمات بها، وصلى عليه عبدالله بن مسعود، صادفه وهو مقبل من الكوفة مع نفر من فضلاء أصحابه، منهم حجر بن الادبر، ومالك بن الحرث الاشتهر، وفتى من الانصار، دعته امرأته إليه، فشهدوا موته، وغمضوا عينيه وغسلوه وكفّوه في ثياب للانصاري، في خبر عجيب حسن فيه طول»<sup>(72)</sup>.

---

(68) الكامل ج 3 / ص 485 ، الاغانى ج 16 / ص 15.

(69) تاريخ اليعقوبي ج 2 / ص 218.

(70) دائرة المعارف الإسلامية ج 7 / ص 320.

(71) الاستيعاب ج 1 / ص 215.

(72) الاستيعاب ج 1 / ص 215.

وفي الاصابة: «وروى ابن السكن وغيره من طريق ابراهيم بن الاشر عن أبيه أنه شهد هو وحجر بن الادبر موت أبي ذر في الربرة»<sup>(73)</sup>.

وكان حجر من الافراد الذين اعترضوا على عثمان، و نصحوه بالكف عن تصرفاته وتصرفات عمّاله، ففي أعيان الشيعة: «وكان حجر بن عدي فيما رواه أبو مخنف من جملة الذين كتبوا إلى عثمان من رجال أهل الكوفة ونسّاكهم وذوي بأسهم، ينقمون عليه أموراً وينصحونه وينهونه عنها وكانوا اثني عشر رجلاً»<sup>(74)</sup>.

فقد كتب الى عثمان جماعة من اهل الكوفة منهم حجر حول واليه على الكوفة سعيد بن العاص رسالة جاء فيها: (ان سعيداً كثر على قوم من اهل الورع والفضل والعفاف، فحملك في امرهم ما لا يحل في دين ولا يحسن في سماع، وانا نذكرك الله في امة محمد، فقد خفنا ان يكون فساد أمرهم على يديك، لانك قد حملت بني ابيك على رقابهم، واعلم ان لك ناصراً ظالماً، وناقماً عليك مظلوماً، فمتى نصرك الظالم ونقم عليك الناقم تباين الفريقان، واختلفت الكلمة، ونحن نشهد عليك الله وكفى به شهيداً، فانك اميرنا ما اطعت الله واستقيمت، ولن تجد دون الله ملتحداً ولا عنه منتقداً)<sup>(75)</sup>.

#### دوره في خلافة الامام (عليه السلام):

لا ينكر أي مؤرخ أن حجراً كان من الموالين للامام (عليه السلام)، وكانت هذه الموالاة سبب قتله، باعتراف المؤرخين والمترجمين لحجر، ولم يكن ولاؤه لاهداف مادية، بل كان عن وعي وبدافع إلهي وإسلامي، لأنه كان يرجو في ذلك الفوز بالجنة، وكان يرى في اتباع الامام (عليه السلام) وولائه، طريق الفلاح في الدنيا والآخرة، كما صرح حجر نفسه بذلك في الكثير من أحاديثه ومواقفه، وتمثلت هذه الحقيقة في حياته وتضحياته في سبيل الولاء.

إذن فولّاه وتشيعه لا ينكره أحد. يقول ابن سعد: «وكان - حجر - من أصحاب علي بن أبي طالب»<sup>(76)</sup>.

ويقول ابن حجر: «وصحب علياً فكان من شيعته»<sup>(77)</sup>. «وشهد حجر مع علي بن أبي طالب (عليه السلام) الجمل وصفين فقتل في موالاة علي»<sup>(78)</sup>.

(73) الاصابة ج 1 / ص 314.

(74) أعيان الشيعة ج 4 / ص 585.

(75) الغدير ج 9 / ص 47.

(76) الطبقات ج 6 / ص 218.

(77) الاصابة ج 1 / ص 313.

(78) المستدرک ج 3 / ص 470.

ولاجل تشييعه وولائه الراسخ للامام(عليه السلام)، ساهم في كل المعارك التي اضطر إليها الامام(عليه السلام) لمواجهة المتمردين، من الناكثين والقاسطين والمارقين.

### سيرة الامام(عليه السلام) ومواقفه:

والحديث عن الامام(عليه السلام) وخلافته ذو شجون، فمنذ وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) كان البعض يرى في وجوده خطراً يهدد أطماعهم، ولا نريد أن ندخل في التفاصيل، فانه طويـلة. وقد كتب علماؤنا والباحثون المتخصصون والمحققون في هذا الموضوع الكثير من الدراسات بما يلقي الضوء على الكثير من القضايا التاريخية والعقائدية ويزيل التشويهاً والتحريفات عنها، وتواجه الكثير من الشبهات والاعتراضات التي يوجهها البعض الى مدرسة أهل البيت(عليهم السلام)، ولسنا في مجال البحث عنها هنا، إذ تحتاج لفرصة، ولدراسة واسعة، وانما نذكر بعض النقاط مع التأكيد على القارئ الكريم في مراجعة تلك الكتب والدراسات التي كتبها الباحثون المحققون ليتعرف على الآراء الصائبة في هذه القضايا، والشواهد التاريخية على آرائهم، وقد اشرنا في الهامش الى بعض هذه الكتب. ونكتفي هنا بهذا العرض الموجز بما يتعلق بموضوع دراستنا.

إن الامام(عليه السلام) بعد توليه الخلافة لم يدخل هذه الحروب الثلاثة، الجمل، وصفين، والنهروان مختاراً، وإنما اضطرته الظروف القاهرة إليها، ففي فترة خلافته، بعد مطالبة الناس له بتقبل هذه الخلافة، حاول تطبيق الشريعة الاسلامية بكل قوة، فرد الحقوق والاموال المغتصبة إلى أهلها، وعزل العمال المنحرفين السابقين، ولم يستجب لرغبات المنتفعين في خلافة عثمان، وعين من قبله عمالاً وولاء، إلى غير ذلك من الاصلاحات والاعمال التي تستهدف إعادة القسط والعدل للبلاد الاسلامية، ولكن اولئك الذين ضربت مصالحهم، او كانوا يشكلون عنصر تشويش و اضطراب بين المسلمين، والذين ارادوا من الامام(عليه السلام) ان يستجيب لرغباتهم غير المشروعة، وحاولوا حرف الخلافة عن مسارها الاسلامي الصحيح، وبعض الزعماء والافراد الذين حرصوا على الاطاحة بخلافة عثمان، والذين كانوا يحلمون ببعض الامتيازات والمطامع، أدركوا أنهم لن يتوصلوا إلى أهدافهم في ظل خلافة الامام(عليه السلام)، فلم يسكتوا، بل تمردوا على هذا النظام الاسلامي العادل، ولكن لم يسفروا عن أهدافهم، بل تقنعوا ببعض الشعارات الزائفة، التي يعلمون هم انفسهم قبل غيرهم بانها لم تكن الا ستاراً لاطماعهم، امثال الثأر لعثمان، ودفعوا الامام(عليه السلام) دفعاً الى خوض هذه الحروب الداخلية، فهذه الحروب الداخلية الثلاث خاضها الامام(عليه السلام) لمواجهة المتمردين الذين ضربت مصالحهم، فتمردوا، من أجل الوصول الى مآربهم الشخصية، او كانوا كالخوارج، يشكلون عنصر قلق وتشويش داخل الامة الاسلامية حيث كانوا حجر عثرة في سبيل تحقيق الاهداف الاسلامية، وبذلك اضطر الامام(عليه السلام) لمحاربتهم، حتى لا يسقط الحكم الاسلامي بأيدي هؤلاء الناكثين والقاسطين والمارقين، وبذلك يكون قد ساعد على انحراف الحكم الاسلامي والمسلمين.

وقد رفع بعض البغاة المتمردين شعار الثأر لقتل عثمان، ولكن، اين هذا مما صرّح به بعض قادة المتمردين أنفسهم، وكما يشهد به التاريخ، بما فيه التاريخ المعارض للامام(عليه السلام) والشيعية، بأن الامام(عليه السلام) وان كان يستنكر على عثمان وحاشيته الكثير من مخالفاتهم وتصرفاتهم غير الشرعية، (حيث كان باستمرار يجهر بالحقيقة مرة بعد اخرى وقد حاول اسداء النصيحة لعثمان في العديد من المناسبات حتى ضاق به ذرعاً، ولكنه لم يكن يرى أن علاج الامر بهذا الاسلوب الانفعالي العنيف هو الطريقة المثلى، وقد نقل عنه(عليه السلام) قوله في عثمان: انه استأثر فاساء الاثرة وجزعوا فأسأؤوا الجزع)<sup>(79)</sup>.

وقد ذكر الطبري ان القوم حينما نزلوا ذا خشب يريدون قتل عثمان ان لم ينزع عما يكرهون، وعلم عثمان ذلك جاء الى منزل علي(عليه السلام) فقال: «يا بن عم، انه ليس له مترك. وان قرابتي قريبة، ولي حق عظيم عليك وقد جاء ما ترى من هؤلاء القوم وهم مصبّحي وانا اعلم ان لك عند الناس قدراً وانهم يسمعون منك، فانا احب ان تركب اليهم فتردهم عني ... فقال علي: علام اردهم؟ قال: على ان اصير الى ما اشرت به علي ورأيت له لي، ولست اخرج من يدك. فقال علي: اني قد كنت كلمتك مرة بعد مرة فكل ذلك نخرج فتكلم ونقول ونقول. (وفي نقل ابن ابي الحديد عن الطبري: فكل ذلك تخرج وتقول، وتعد ثم ترجع) وذلك كله فعل مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وابن عامر ومعاوية اطعتهم وعصيتني»<sup>(80)</sup>.

وقد قام الامام(عليه السلام) بعد ذلك بمحاولة تهدئة الثائرين، ولكن جاء مروان بعد ذلك فغير من رأي عثمان.

وقد قال الامام (عليه السلام) في موضع آخر مخاطباً عثمان: «والله اني لأكثر الناس ذباً عنك، ولكن كلما جئت بشيء أظنه لك رضاً، جاء مروان بغيره، فسمعت قوله وتركت قلبي»<sup>(81)</sup>.

والملاحظ ان الامام(عليه السلام) وان لم يكن معتقداً بشرعية هذه الخلافة او غيرها لاسباب معروفة، لانه هو الخليفة الحقيقي بنص الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) في احاديث كثيرة، ولما يملكه من خصائص تفوق الآخرين، يعترف بها الجميع، لذلك كان يؤكد ويطالب بحقه في مواقف وأحاديث كثيرة، ولكنه(عليه السلام) لاجل رعاية المصالح الاسلامية العليا، والحفاظ على كيان الاسلام ومعالمه ووجود المسلمين، ولعدم وجود العدد الكافي من المناصرين له لو طالب بحقه المغتصب، مع انحراف البعض وسكوت البعض الآخر تجاه اغتصاب الحق، نتيجة لمختلف اساليب الارهاب والاغراء والانحراف التي استخدمها البعض لاسكات المسلمين، لم يتخذ المواقف المشددة منها، بل كان يقدم يد النصح كثيراً، لما فيه مصلحة الاسلام والمسلمين، مع استنكاره للكثير من الامور والحوادث آنذاك.

---

(79) الحياة السياسية للامام الحسن(عليه السلام) ص 143 حيث يتعرض الى موقف الامام امير المؤمنين(عليه السلام) من عثمان ومن الثائرين عليه.

(80) تاريخ الطبري ج 3 / ص 394، شرح نهج البلاغة ج 2 / ص 144.

(81) شرح نهج البلاغة ج 2 / ص 148.

وقد ذكر الامام(عليه السلام) موقفه، وموقف معاوية من عثمان في جوابه على رسالة معاوية اليه «ثم ذكرت ما كان من امري وامر عثمان، فلك ان تجاب عن هذه لرحمك منه، فاينا كان اعدى له واهدى الى مقاتله. ام من بذل له نصرته فاستقده واستكفه، ام من استنصره فتراخى عنه وبث المنون اليه، حتى أتى قدره عليه. كلا والله (قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولاياتون البأس الا قليلا) وما كنت لاعتذر من اني كنت انقم عليه احداثاً، فان كان الذنب اليه ارشادي وهدايتي له، فرب ملوم لا ذنب له «وقد يستفيد الظنة المتنصح»، وما اردت (الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب)»<sup>(82)</sup>.

وقد قدم الثائرون من مصر والكوفة والبصرة، وساعدهم بعض أهل المدينة استككاراً لسياسة عثمان وعماله وتصرفاته، حيث استأثروا بأموال المسلمين، وقرّب عثمان إليه بني أمية، وجعلهم من حاشيته وعماله، وغيرها من الاعمال<sup>(83)</sup>، وقد أنكر على عثمان، الكثير من الصحابة وغيرهم، أمثال الامام(عليه السلام) وأبي ذر وعمار وابن مسعود و حجر وغيرهم، ولكن الحكم القائم لم يبال باستنكارهم ونصائحهم، واستمرّ في تصرفاته حتى انفجرت الثورة. وبالرغم من أن الحكم القائم قد استجاب لمتطلباتهم، حيث أعلن عن استجابته امام الرأي العام، ولكنه كان من وراء الستار يخطط للقضاء عليهم، والاستمرار في سياسته، وراسل عماله أن يمدوه بالعدة والعديد للقضاء على المعارضة، وبعد أن فشلت كل محاولات الامام(عليه السلام) في إصلاح وتغيير سياسة الحكم القائم، وفي تهدئة الثائرين، تراجع عن موقفه لانه رأى أن الحكم القائم يحاول أن يتخذ وسيلة لتمرير مخططاته، حتى يسكت الثائرون مدّة، ثم يجمع العدة والعديد وينقض عليهم، ثم يستمر في سياسته<sup>(84)</sup>، وفي استيلاء بني أمية وأمثالهم على الملك، كما اعترف بذلك مروان بن الحكم، حين خاطب الجماهير الغاضبة، وكما جاء في تاريخ الطبري: «فخرج مروان إلى الباب، والناس يركب بعضهم بعضاً، فقال: ما شأنكم قد اجتمعتم؟ كأنكم جئتم لنهب. شاهت الوجوه. كل إنسان أخذ باذن صاحبه، ألا من أريد؟ جئتم تريدون ان تنزعوا ملكنا من أيدينا؟، اخرجوا عنا، أما والله لئن رمتونا ليمرنّ عليكم منا امر لا يسركم، ولا تحمدوا غبّ رأيكم. ارجعوا إلى منازلكم، فإننا والله ما نحن مغلوبين على ما في أيدينا»<sup>(85)</sup>، ولم يحاول النظام القائم تغيير وإصلاح نفسه، رغم وعوده وعهوده<sup>(86)</sup>.

فالامام(عليه السلام) كان موقفه من هذه الثورة موقف المصلح واعادة الحكم القائم الى العمل بالتعاليم الاسلامية وما فيه مصلحة الاسلام والمسلمين، واتخاذ الطريقة المناسبة في مواجهته. أمّا أولئك الذين

(82) نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح / ص 388، الرقم 29.

(83) يلاحظ حول هذه التصرفات التي ادت الى الثورة، والى استنكار الكثير من الصحابة والمسلمين، الكثير من المصادر والكتب وخاصة الغدير، الجزء التاسع، ومعالم المدرستين وغيرهما.

(84) الطبري ج 3 / ص 403.

(85) الطبري ج 3 / ص 397، ابن مسكويه، تجارب الامم ج 1 / ص 285.

(86) يلاحظ في رحاب أئمة اهل البيت ج 1 / ص 342.

طالبوا بدم عثمان، فالتاريخ يشهد بانهم كانوا من اشد المحرضين على قتله، (وليس الدافع لامثال هؤلاء على التحريض والاستنكار هو الانتصار للحق والمظلومين، وانما من اجل الحصول على بعض المكاسب الدنيوية)<sup>(87)</sup> كما ظهر ذلك في مواقفهم بعد ذلك بل وقبل ذلك، فبعضهم كان يطمع بالخلافة، أو بالتوصل لبعض المصالح، كما تدل على ذلك الشواهد التاريخية المذكورة في موضعها.

فعائشة مثلاً، كانت تحرّض على قتل عثمان، وكانت، كما ينقل التاريخ، (تشنّع على عثمان، وتحض عليه، وتخرج راكبة بغلة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ومعها قميصه، وتقول: هذا قميص رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ما بلي، وقد بلي دينه، اقتلوا نعثلاً - اي عثمان - قتل الله نعثلاً. فلما صار الامر الى علي كرهته، وعادت إلى مكة، بعد أن كانت متوجّهة إلى المدينة، ونادت: ألا إن الخليفة قتل مظلوماً فاطلبوا بدم عثمان)<sup>(88)</sup>. وأما عمرو بن العاص فقد روى الطبري أنه كان شديد التحريض والتأليب على عثمان، فلما كان حصر عثمان الأول خرج من المدينة إلى أرض له بفلسطين، فبينما هو جالس في قصر له ومعه ابنه وسلامة بن روح إذ مرّ بهم راكب، فناداه عمرو: (ما فعل الرجل؟ يعني عثمان، فقال: قتل. قال: أنا أبو عبد الله، إذا حككت قرحة نكأتها، إن كنت لأحرّض عليه، حتى إني لأحرّض عليه الراعي في غنمه في رأس الجبل)<sup>(89)</sup>. وبعد ذلك حارب علياً مع معاوية طلباً بدم عثمان. وكذلك يشهد التاريخ أن طلحة كان من المحرضين على عثمان<sup>(90)</sup>، وكذلك معاوية، فحين طلب عثمان منه المعونة والمدد، تباطأ معاوية فلم ينجده<sup>(91)</sup>. وأما الزبير، فقد أقام في طريق مكة معتزلاً الضجة، لئلا يشهد مقتل عثمان<sup>(92)</sup>. وهؤلاء هم الذين حاربوا الامام(عليه السلام) ورفعوا شعار الطلب بدم عثمان، وقد دفعهم بغضهم للامام(عليه السلام)، وبالأحرى بغضهم لعدالة علي، وإصلاحاته، واعادة ما سلبوه من اموال وحقوق، وعدم استجابته لرغباتهم وحبهم للدنيا والسلطان، كل ذلك دفعهم لاستخدام مختلف الاساليب والمبررات والشعارات الزائفة، في سبيل الوصول إلى أهدافهم غير المشروعة، وليس قميص عثمان إلا ستار لتغطية أهدافهم، وقد عبّر عن هذه الحقيقة عمرو بن العاص حين قال لعائشة بعد واقعة الجمل: «لو ددت أنك كنت قُتلت يوم الجمل، فقالت، ولم لا أبالك؟ فقال: كنت تموتين بأجلك وتدخلين الجنة، ونجعلك اكبر بالتشنيع في علي»<sup>(93)</sup>، وكان عمرو بن العاص أيضاً يهدف بذلك إلى رفع قميص عائشة لتحريك الناس

(87) الحياة السياسية للامام الحسن(عليه السلام) ص142.

(88) الطبري ج 3 / ص 477.

(89) الطبري ج 3 / ص 392.

(90) الطبري ج 3 / ص 411، و لاحظ في رحاب ائمة اهل البيت (عليهم السلام) ج 1 / ص 346.

(91) الطبري ج 3 ص 402، ولاحظ في رحاب ائمة اهل البيت(عليهم السلام) ج 1 / ص343. والحياة السياسي للامام الحسن(عليه السلام) ص145.

(92) الطبري ج 3 / ص 422، وراجع الغدير ج 9 / ص 77، فقد ذكر اسماء واخبار الكثير من الناقمين والمحرضين على عثمان، ومنهم عائشة وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير ومعاوية، وانه لم يشذ عن النعمة عليه الا اربعة.

(93) في رحاب ائمة اهل البيت(عليه السلام) ج 2 / ص 58، نقلاً عن كامل المبرد.

ضد خلافة الامام(عليه السلام)، ولكن ربما أسعف الحظ عائشة، أو انها كانت أذكى من أن تسقط في شرك هذه اللعبة. اجل. انهم لم ينقموا من أبي الحسن(عليه السلام) إلا عدالته، وصلابته في ذات الله، وإقامة الاسلام. وحين عزل الامام(عليه السلام) المنحرفين من عمّال عثمان على البلدان الاسلامية، طلب منه المغيرة بن شعبة استبقاء معاوية وآخرين على مناصبهم، بحجة اعتماد المداينة السياسية معهم، وبعد ذلك، حينما تثبت دعائم خلافته، يعزلهم، ولكن الامام(عليه السلام) رفض ذلك، وأجابه: «والله لا أدهن في ديني، ولا أعطي الدني في أمري»<sup>(94)</sup>. وكان هدف المغيرة، وهو من دهاة العرب، والمعادين للامام(عليه السلام)، ومن طلاب الدنيا والمناصب، ظهر ذلك بعد ان نصبه معاوية واليا على الكوفة، كان هدفه من ابقاء معاوية وسائر العمال، أن يستحكموا اكثر في بلدانهم، ويستخدموا قضية عثمان شعاراً لاثارة غضب الامة وغير ذلك من الأغراض، فكان ابقاء عمال عثمان مخالفاً للسياسة الدنيوية، مضافاً إلى كونه مخالفاً للجانب الديني بسبب انحرافاتهم ومخالفاتهم للسافة للاسلام. هؤلاء وامثالهم هم الذين حاربوا الامام(عليه السلام)، وحرصوا عليه، وسبّوه على المنابر، وفي امثالهم قال المتنبي: وإذا انتك مذمتي من ناقصه الشهاده لي بأني كامل دور حجر في معارك الثلاث: قال في الدرجات الرفيعة: «واخلاصه لامير المؤمنين أشهر من أن يذكر»، وقد ذكرنا أن حجراً كان من الموالين للامام(عليه السلام) وقد دفعه ولاؤه وإيمانه الى خوض هذه المعارك، من أجل إقامة الحكم الاسلامي العادل على الارض، الذي يمثله الامام(عليه السلام)، ودفاعاً عن خلافته، فقد ذكر التاريخ أنه شارك في المعارك الثلاث، الجمل، وصفين، والنهروان، ونذكر هنا بالتفصيل، دوره فيها: دوره في الجمل: قال ابن سعد في طبقاته: «وشهد حجر معه - أي الامام(عليه السلام) - الجمل وصفين»<sup>(95)</sup>، وفي الاصابة: «وأنه شهد بعد ذلك الجمل وصفين»<sup>(96)</sup>. ويظهر من التاريخ أنه لم يكن جندياً عادياً فيها، وإنما كان مقاتلاً أميراً، وقائداً لبعض الفرق، وهذه نتيجة حتمية لشخصيته، فإنه كان من شيوخ الشيعة في الكوفة، وزعيماً من زعماء كنده. فالتاريخ يحدث أن الامام الحسن(عليه السلام) حينما قدم الكوفة قبل حرب الجمل داعياً أهلها لنصرة الامام(عليه السلام)، قام زعماء الكوفة الموالون لعلي(عليه السلام)، يحرضون الناس على الاستجابة لنصرته، «وقام حجر بن عدي فقال: أيها الناس، أجيئوا أمير المؤمنين، وانفروا خفافاً وثقالاً، مروا وانا أولكم، فأذن الناس للمسير»<sup>(97)</sup>. ويظهر من هذا النص أن كلمته كانت مسموعة في أهل الكوفة. وقد قاد جماعة من الكوفة «فكان على مذبح والاشعريين حجر بن عدي»<sup>(98)</sup> خرج بهم إلى وقعة الجمل. وفي الكامل: «وحدثونا أيضاً: أنه لما نفر الناس إلى أمير المؤمنين(عليه السلام) نفر معهم حجر، وعقد له علي على مذبح والاشعريين، ورووا أنه

(94) الطبري ج 3 / ص 461.

(95) الطبقات ج 6 / ص 218.

(96) الاصابة ج 1 / ص 313.

(97) الكامل لابن الأثير ج 3 / ص 231.

(98) الكامل / ص 232.

ارتجز يوم الجمل بهذا الرجز: يا ربنا سلم لنا علياً سلم لنا المبارك المضيا المؤمن الموحد التقياً لا خطل الرأي ولا غويابلاً هادياً موقفاً مهدياً واحفظه ربي واحفظ النبيا فيه فقد كان له ولياً ثم ارتضاه بعده وصياً<sup>(99)</sup> ويظهر من هذه الابيات الشعرية صدق ولأئنه وإيمانه بإمامة أمير المؤمنين (عليه السلام)، وأنه وصي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأنه يمثل الاسلام الاصيل، لا انه ايمان عشوائي، أو ناتج عن طمع باغراض شخصية ودنيوية. وذكر في البحار: «وكان على الجناح - في معركة الجمل - زياد بن كعب، وحجر بن عدي»<sup>(100)</sup>.

**دوره في صفين:** ذكرنا أقوال العلماء أنه شارك في صفين. قال في الاستيعاب: «وكان على كندة يوم صفين»<sup>(101)</sup>، إذن فقد كان من قادة الجيش العلوي في صفين. وفي الاصابة: «وذكره يعقوب بن سفيان في أمراء علي يوم صفين»<sup>(102)</sup>، وفي البحار: «وأمر علي (عليه السلام) حجر بن عدي الكندي على كندة وحضر موت وقضاة ومهرة»<sup>(103)</sup>. وفي الكامل حول صفين: «فكان علي (عليه السلام) يخرج مرة الاشترا، ومرة حجر بن عدي الكندي...»<sup>(104)</sup> ولعل مراده لقيادة الجيش. وقال عنه السبتي: «وكان حجر من الرؤساء الذين تركزت عليهم صفين، فإنه كان من كندة، وكندة يخرج منها اثنا عشر ألف سيف، وهو شجاع معدود من شجعان الكوفة وفرسانها»<sup>(105)</sup>. وفي صفين حين استشار الامام (عليه السلام) اصحابه في الحرب، قام له أصحابه واحداً بعد الآخر يبذلون الطاعة والنصر، وقام حجر وقال: «يا أمير المؤمنين، نحن بنو الحرب وأهلها الذين نلقحها وننتجها، وقد ضاربتنا وضاربناها، ولنا أعوان ذوو صلاح وعشيرة ذات عدد، ورأي بحرب وبأس محمود، وازمتنا منقادة لك بالسمع والطاعة، فإن شرقت شرقتنا وان غربت غربتنا. وما امرتنا به من امر فعلناه، فقال علي (عليه السلام): أكل قومك يرى مثل رأيك؟ قال: ما رأيت منهم إلا حسناً، وهذه يدي عنهم بالسمع والطاعة وحسن الاجابة، فقال له علي (عليه السلام) خيراً»<sup>(106)</sup>. ويظهر منه أنه كان زعيم قومه، وأنه كان شجاعاً مقداماً، وكذلك يظهر منه إيمانه بالولاء إلى حد التضحية. ومن مواقفه في صفين ما ذكره: «وخرج أدهم بن لام القضاعي مرتجراً - مخاطباً سعيد بن قيس - اثبت لوقع الصارم الصقيل فانت لا شك أخو قتيل فقتله حجر بن عدي، فخرج الحكم بن الازهر قائلاً: يا حجر حبر بن عدي الكندي اثبت فاني ليس مثلي بعدي فقتله حجر، فخرج مالك بن مسهر القضاعي يقول: اني أنا مالك

(99) المصدر السابق، والبحار ج 38 / ص 22.

(100) البحار ج 32 / ص 172.

(101) الاستيعاب ج 1 / ص 355، وشرح نهج البلاغة ج 4 / ص 27، ووقعة صفين / ص 205.

(102) الاصابة ج 1 / ص 313.

(103) البحار ج 32 / ص 408، وشرح نهج البلاغة ج 3 / ص 194، ووقعة صفين / ص 117.

(104) الكامل ج 3 / ص 286، ووقعة صفين / ص 195.

(105) حجر بن عدي / ص 103.

(106) شرح نهج البلاغة ج 3 / ص 182، والدرجات الرفيعة / ص 423، ووقعة صفين / ص 104، وفيه بدل ضاربتنا وضاربناها

(ضاربتنا وضاربناها) وفيه ايضاً (ورأي مجرب) بدل ورأي بحرب.

وابن مسهرأنا ابن عمّ الحكم بن الازهر فاجابه حجر:إني حجر وانا ابن مسعر أقدم إذا شئت ولا تؤخر»<sup>(107)</sup> وفي شرح نهج البلاغة: «قال نصر: فحدثنا عمرو بن شمر عن جابر عن الشعبي أن أول فارسين التقيا في هذا اليوم - وهو اليوم السابع من صفر، وكان من الايام العظيمة في صفين، ذا أهوال شديدة - حجر الخير، وحجر الشر، أما حجر الخير فهو حجر بن عدي، صاحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام)، وأما حجر الشر فابن عمه، كلاهما من كندة، وكان من أصحاب معاوية، فاطعنا برمحيهما، وخرج رجل من بني أسد، يقال له خزيمة، من عسكر معاوية فضرب حجر بن عدي ضربة برمحه، فحمل أصحاب علي(عليه السلام) فقتلوا خزيمة الاسدي، ونجا حجر الشرّ هارباً، فالتحق بصف معاوية»<sup>(108)</sup>. وروى نصر بن مزاحم أن عمرو بن الحمق قال لامير المؤمنين(عليه السلام)في يوم من أيام صفين: «والله يا أمير المؤمنين إني ما أحببتك ولا بايعتك على قرابة بيني و بينك، ولا إرادة مال تؤتينيهِ ولا التماس سلطان ترفع ذكرِي به، ولكن أحببتك بخصال خمس: أنك ابن عم رسول الله ووصيّه، وأبو الذرية التي بقيت فينا من رسول الله، وأسبق الناس إلى الاسلام، وأعظم المهاجرين سهماً في الجهاد، فلو أني كُلفت نقل الجبال الرواسي ونزح البحور الطوامي، حتى يأتي عليّ يومي في أمر أقوي به وليك، وأوهن به عدوك، ما رأيت أني قد أدّيت فيه كلّ الذي يحقّ عليّ من حقك، فقال علي(عليه السلام): اللهم نور قلبه بالتقى، واهده إلى صراطك المستقيم، ليت أن في جندي مائة مثلك، فقال حجر: إذا والله يا أمير المؤمنين صحّ جندك، وقل من يغشّك»<sup>(109)</sup>. ولهذا السبب طارد معاوية وولاته وأبنائهم أمثال هؤلاء المؤمنين الصامدين، وعزموا على قتلهم، وحاربوا ولاءهم ومبادئهم، لانهم خافوا انتشار هذا الصمود والولاء والمبادئ في الامة، وبذلك يستحيل القضاء عليها، ويتزعزع النظام الاموي وسلطانه. **دوره مع الخوارج:** وكان من قادة جيش الامام (عليه السلام) الذي خرج لحرب الخوارج. ذكر في الاستيعاب: «وكان على الميسرة يوم النهروان»<sup>(110)</sup>. وفي الكامل أنه «كان من الذين جمعوا الناس لقتال الخوارج في النهروان»<sup>(111)</sup>.

**مواقفه القتالية الاخرى:** وبعد صفين كان معاوية يبعث الغارات على المدن التي كانت تحت سيطرة الامام(عليه السلام)، وترتكب ابشع الجرائم فيها. ويذكر الكامل: «وجّه معاوية الضحّاك بن قيس، وأمره أن يمرّ بأسفل واقصة ويغير على كل من مرّ به ممن هو في طاعة علي من الاعراب، وأرسل ثلاثة آلاف رجل معه، فسار الناس، وأخذ الاموال، ومضى إلى الثعلبية، وقتل وأغار على مسلحة علي، وانتهى إلى القطفطانة، فلما بلغ ذلك علياً أرسل إليه حجر بن عدي في أربعة آلاف، وأعطاهم خمسين درهماً، خمسين

(107) مناقب آل ابي طالب ج 1 / ص 355.

(108) شرح نهج البلاغة ج 5 / ص 195، والدرجات الرفيعة / ص 424، ووقعة صفين / ص 243.

(109) الدرجات الرفيعة / ص 432.

(110) الاستيعاب ج 1 / ص 356، والكامل ج 3 / ص 373.

(111) الكامل ج 3 / ص 340.

درهماً، فلحق الضحّاك بتدمير فقتل منهم تسعة عشر، وقتل من أصحابه رجلاً، وحجز بينهما الليل، فهرب الضحّاك وأصحابه، ورجع حجر ومن معه»<sup>(112)</sup>. وفي أواخر حياة الامام(عليه السلام)، كانت غارة سفيان بن عوف الغامدي على الانبار من قبل معاوية، وقد تقاعس الناس وتكاسلوا عن الاستجابة للامام(عليه السلام)، والتهيو لمحاربة معاوية، ولكن كانت هناك جماعة من الابطال استعدّوا للتضحية والقتال، «فقام حجر بن عدي الكندي وسعيد بن قيس الهمداني فقالا: لايسوؤك الله يا أمير المؤمنين، مرنا بأمرك نتبعه، فوالله ما نعظم جزءاً على أموالنا إن نفدت، ولا على عشائرنّا إن قتلنا في طاعتك، فقال: تجهّزوا للمسير إلى عدوّنا»<sup>(113)</sup>. وأخيراً نذكر ما قاله الشيخ المامقاني حول مواقف حجر البطولية مع الامام(عليه السلام): «وما يشهد بعدالته تأمير أمير المؤمنين(عليه السلام) إيّاه تارة في صفين على كندة وحضرموت وقضاة، وأخرى بعد صفين عقد له على أربعة آلاف وسرحه لرد غارة الضحّاك بن قيس الفهري ... فإنه لا يعقل تأميره(عليه السلام) غير العادل والثقة المأمون»<sup>(114)</sup>.

**دوره حين شهادة الامام(عليه السلام):** وأخيراً.. كان موقفه حين قتل الامام (عليه السلام) بيد المجرم ابن ملجم بتحريض من الاشعث، حيث يذكر التاريخ أنه عرف القاتل والذين حرّضوه، بعد أن سمع الواعية من المسجد، فقد ذكر ابن أبي الدنيا في كتابه: (مقتل أمير المؤمنين(عليه السلام)): «حدثنا الحسين، قال: حدثنا عبد الله، قال: حدثني عبد الله بن يونس بن بكير، قال: حدثني أبي عن عبدالغفار بن القاسم الانصاري، قال: سمعت غير واحد يذكر أن ابن ملجم بات عند الاشعث بن قيس، فلما أسحر جعل يقول له، اصبحت، وكان حجر مؤذّنهم، فخرج حجر وأذن، فلم يكن أسرع من أن سمع الواعية، فجعل حجر ينادي فوق المنارة: قتله الاعور - وكان الرجل أعور - وكان علي يسميه عرف النار». وفيه «حدثنا الحسين، قال: حدثنا عبد الله، قال: حدثني أبي عن هشام بن محمد، قال: حدثني عوانة بن الحكم أن حجر بن عدي لما انصرف الناس من صلاة الغداة من مسجد الاشعث، وكان حجر بن عدي إمامهم، فلما سلّم قال الناس: ضرب أمير المؤمنين الليلة، فنظر حجر إلى الاشعث فقال: ألم أر ابن ملجم معك وأنت تتاجيه تقول له: فضحك الصبح؟ والله لو أعلم ذلك حقاً لضربت أكثرك شعراً، فقال: إنك شيخ قد خرفت»<sup>(115)</sup>. ويظهر من هذا الخبر أن حجراً كان إمام مسجد، وكان شيخاً حين قتل الامام(عليه السلام). وقد ذكر المفيد في الارشاد، وأبو الفرج الاصفهاني في مقاتل الطالبين، وابن أبي الحديد في شرح النهج، أن حجراً كان قد أحس بعزم ابن ملجم على قتل الامام(عليه السلام) بتحريض من الاشعث، فأسرع ليخبر الامام(عليه السلام) بهذه المؤامرة لاغتياله، ولكن سبقه المجرم القاتل، ولم يتمكن حجر من إعلام الامام(عليه السلام) بذلك. قال أبو الفرج: «وقد كان ابن ملجم أتى الاشعث بن قيس في هذه الليلة، فخلا به في بعض نواحي

(112) الكامل ج 3 / ص 377، وشرح نهج البلاغة ج 2 / ص 118.

(113) شرح نهج البلاغة ج 2 / ص 90، والدرجات الرفيعة / ص 423.

(114) تنقيح المقال ج 1 / ص 257.

(115) مجلة تراثنا، العدد الثالث، السنة الثالثة، رجب 1408.

المسجد، ومر بهما حجر بن عدي فسمع الاشعث وهو يقول لابن ملجم: النجاء النجاء بحاجتك، فقد فضحك الصبح، فقال له حجر: قتلته يا أعور، وخرج مبادراً إلى علي، وقد سبقه ابن ملجم فضربه، فاقبل حجر والناس يقولون: قُتل أمير المؤمنين»<sup>(116)</sup>. ويذكر التاريخ أن الامام(عليه السلام) لما ضربه ابن ملجم، دخل الناس عليه فقال(عليه السلام): «أيها الناس اسألوني قبل أن تفقدوني، وخففوا سؤالكم لمصيبة إمامكم، قال: فبكى الناس عند ذلك بكاءً شديداً واشفقوا أن يسألوه تخفيفاً عنه، فقام إليه حجر بن عدي الطائي فقال ابياتاً مطلعها: فيا أسفي على المولى التقيا بو الاطهار حيدرة الزكيقتله كافر حنث زنيملعين فاسق نغل شقيفلين ربنا من حاد عنكموياً منكم لعناً وبيلانكم بيوم الحشر ذخريوانتم عترة الهادي النبي فلما بصر به وسمع شعره، قال له: كيف لي بك إذا دعيت إلى البراءة مني فما عساك أن تقول؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين لو قطعت بالسيف إرباً إرباً، وأضرم لي النار وألقيت فيها لآثرت ذلك على البراءة منك، فقال: وفقت لكل خير يا حجر، جزاك الله خيراً عن أهل بيت نبيك»<sup>(117)</sup>. مع الإمام الحسن(عليه السلام): وكان له دور أيضاً في زمان خلافة الامام الحسن(عليه السلام). قال أبو الفرج الاصفهاني: «فاجتمعت العساكر إلى معاوية بن أبي سفيان، وسار قاصداً إلى العراق، وبلغ الحسن خبر سيره، وأنه بلغ جسر منبج، فتحرّك لذلك وبعث حجر بن عدي يأمر العمال والناس بالتهيؤ للمسير»<sup>(118)</sup>. وبتعبير ابن أبي الحديد: «فوجه حجر بن عدي يأمر العمال بالاحتراس ويذبّ الناس فसार عوا»<sup>(119)</sup>. ولكن بقي موقف من حجر يثير التساؤل والاستغراب، وهو موقفه من صلح الامام الحسن(عليه السلام). فقد ذكر المدائني وغيره: «أنه لما كان من صلح الحسن(عليه السلام) لمعاوية ما كان دخل عبيدة بن عمرو الكندي، وهو من قوم حجر بن عدي، على الحسن(عليه السلام)، وكان على وجهه ضربة أصابته وهو مع قيس بن سعد بن عباد، فقال الحسن(عليه السلام): مالذي أرى بوجهك؟ فقال: جرح أصابني مع قيس. فالتفت حجر إلى الحسن(عليه السلام)، فقال: لوددت أنك متّ قبل هذا اليوم وممتنا معك، ولم يكن ما كان! إنا رجعنا راغمين بما كرهنا، ورجعوا مسرورين بما أحبوا، فتغير وجه الحسن(عليه السلام)، وغمز الحسين(عليه السلام) حجراً فسكت. فقال الحسن: يا حجر، ليس كل الناس يحب ما تحب ولا رأيهم رأيك، وما فعلت ما فعلت إلا إبقاءً عليكم، والله كل يوم في شأن». وعلق السيد الامين على هذه الحادثة: «ولا شك أن هذا الكلام فيه سوء أدب من حجر مع الحسن(عليه السلام)، ولكنّه دعاه إليه شدة الحب وزيادة الغيظ مما

(116) مقاتل الطالبين ص 20، وشرح نهج البلاغة ج 6 / ص 117، والارشاد للشيخ المفيد / ص 17.

(117) هكذا وردت الابيات في البحار ج 42 / ص 290، بما فيها من خلل نحوي وعروضي. ولم اعثر عليها في مصدر آخر مع تتبعي، وقد رأيت ذكرها على ما فيها لأجل اهمية الواقعة التي قيلت فيها، ولأجل استيعاب ما ذكر حول حجر، وإن كان هناك نوع من شك حول نسبتها لحجر بصورتها المغلوطة المذكورة في البحار، أو هناك تصحيف وتحريف من قبل الناقلين لهذا الشعر عن حجر.

(118) مقاتل الطالبين / ص 39.

(119) شرح نهج البلاغة ج 16 / ص 26 و 38.

كان»<sup>(120)</sup>. وعلق التستري: «ولعله لفرط اسفه من تسلط معاوية لم يفهم ماقال»<sup>(121)</sup>. وإذا صحت هذه القصة ولم نشكك في صحتها وسندها كما ناقش البعض في سند امثال هذه المواقف التي وقفها بعض اصحاب الامام(عليه السلام) من قضية الصلح<sup>(122)</sup>. فلم يكن دافع حجر إلى هذا الكلام، وكما ذكره السيد الامين، إلا شدة الحب، وزيادة الغيظ مما كان، وفي جواب الامام(عليه السلام) ما يظهر منه مدحه لشجاعة حجر وولائه، وكذلك كشف له الامام(عليه السلام) عن موقف الكثير من المحيطين به وأنهم لا يملكون شجاعة حجر وولاءه، وأطلعته بإيجاز على بعض الدوافع التي دفعته لهذا الموقف المسالم، ومنها الحفاظ على البقية الباقية من المؤمنين، حتى لا تخلو الارض من رسل الهداية والنور، ليؤدّي بقاؤهم إلى الحفاظ على صوت الاسلام الاصيل الذي يحمل لواءه هذه البقية الباقية من الابطال المؤمنين، وحتى تحين الفرصة المناسبة لاتخاذ الموقف الحاسم من النظام الغاشم، ونحن نعلم ان من أسباب الصلح تخاذل المحيطين بالامام(عليه السلام). وربما كان حجر يعلم بكل هذه الاسباب والظروف، ولكنه كان متألماً لوقوع الامام(عليه السلام) في مثل هذه الظروف الصعبة، التي دفعته لهذا الصلح، كما ان الامام(عليه السلام) بنفسه كان متألماً لحصول مثل هذه الظروف والاسباب، وتخاذل اصحابه، كما كان الامام أمير المؤمنين(عليه السلام) قبله قد تألم من غدر البعض من أتباعه، ومن الظروف السيئة المحيطة به. ولعل السبب في موقف حجر وأمثاله، من أصحاب الامام الحسن(عليه السلام) من الصلح، أنه في تلك الاجواء المحمومة لم تكن ظروف الصلح وعوامله واضحة عند البعض، كما عرفت بعد ذلك، في الاجيال اللاحقة، نتيجة للدراسات والبحوث التي قام بها الباحثون والعلماء لظروف تلك المرحلة، وعواملها. بل ربما يصح القول بأن معتقدات الامامية وخاصة غير الرئيسية، بالنسبة لجميع الشيعة، إلا القلة منهم، لم تكن بمثل هذا الوضوح الذي نملكه اليوم، بعد هذا التاريخ الطويل من الجهود الكبيرة التي بذلها أئمتنا(عليه السلام) وعلمائنا في مجال توضيح هذه المعتقدات وترسيخها. ويلاحظ أمثال هذه المواقف والتساؤلات عند البعض من أصحاب الائمة(عليهم السلام) المؤمنين الذي لا يشك أحد في إخلاصهم وولائهم، وقد درس بعض العلماء والباحثين هذه الظاهرة حين دراستهم لظاهرة الغلو، أو نسبة الغلو لبعض أصحاب الائمة(عليهم السلام) أو الشيعة، وتعرضنا لها بإيجاز في دراستنا للعبدية. وهذه الفكرة، وهي مدى وضوح المعتقدات وبلورتها وبقائها عبر التاريخ الطويل أو تغيرها، تحتاج لدراسة علمية موسعة في هذا المجال. ولعل حجراً أراد التساؤل من الامام الحسن(عليه السلام) عن أسباب هذا الموقف، ليكشف بعض تلك الاسباب له وللآخرين. وربما كانت القصة منحولة أساساً، لان حجراً لو كان يستهدف الاستنكار حقاً، لما كان هذا يتلاءم واعتقاده الشديد بإمامة أهل البيت(عليهم السلام)، هذا الاعتقاد الذي حمله خلال حياته، قبل

(120) أعيان الشيعة ج 4 / ص574، والدرجات الرفيعة / ص425.

(121) قاموس الرجال ج 3 / ص131.

(122) معجم رجال الحديث ج8 ص151.

الامام الحسن(عليه السلام)وبعده، حتى استشهد في سبيله. وعلى كل حال. ليس في موقف حجر هذا ما يسيء إلى شخصيته وعقيدته، كما يظهر ذلك من سيرة حياته قبل هذا الموقف وبعده، ومن مدح الامام الحسن(عليه السلام) له بعد ذلك، ومدح الامام الحسين(عليه السلام) له أيضاً، ومدح سائر الشيعة المؤمنين. قبل استعراض هذه الواقعة الدامية، لابد من التمهيد بالبحث وبايجاز عن أساليب معاوية وممارساته خلال حكمه. هذه الأساليب والممارسات التي حفزت حجراً، وأمثاله على التحرك والمواجهة للذين أدبوا بطبيعة الحال إلى القتل الذي هو النتيجة الحتمية في زمن الإرهاب لكل من تحدّث نفسه بتحدي سياسة معاوية. **اساليب معاوية وممارساته:** أدرك معاوية، من خلال تجاربه منذ بعثة الاسلام، حتى توفرت الظروف لاستيلائه على زمام الخلافة الاسلامية، أن الاسلام الاصيل المتجسد بحملته الواعين والملتزمين بولاية أهل البيت(عليهم السلام) يشكل العقبة الكأداء الوحيدة في مواجهة نظامه وأهوائه وأطماعه، لذلك استخدم مختلف الأساليب من أجل القضاء عليها، حتى يستتب له الامر. وأساليبه كثيرة في هذا المجال، لما يتمتع به من دهاء، فإنه كان من دهاء العرب، كما يقولون، وقد ذكر الباحثون هذه الأساليب، ونحن نشير إليها بإيجاز مع عدم ذكر الشواهد عليها، ونحن نلاحظ انه استخدم اساليب فرعون بل زاد عليها. وقد اشار القرآن الكريم الى اساليب فرعون بقوله: **(إن فرعون علا في الارض وجعل اهله شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين)**<sup>(123)</sup> حيث تشير الى انه استخدم اسلوب التفرقة والارهاب، والفساد الاخلاقي. 1 - مطاردة الموالين للامام(عليه السلام)، الذي كان يمثل في سيرته وخلافته ومبادئه العدالة والاسلام الصحيح، أي مطاردة الوعي الاسلامي، والافراد الملتزمين به. 2 - محاربة الاحاديث التي وردت عن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) في فضائل أهل البيت(عليهم السلام)ومطاردة الذين يروون هذه الاحاديث والفضائل، وكذلك وضع الاحاديث الكاذبة التي تمدح معاوية وأمثاله وتدعم سلطته، وتذم أهل البيت(عليهم السلام)والمؤمنين المخلصين، وكذلك سب الامام(عليه السلام) واتباعه على المنابر، وتمجيد معاوية وبني أمية وزمرتهم، وفرض ذلك على العمال والخطباء، وتنشئة الجيل عليها، وقد يضاف لذلك عقيدة المرجئة التي أخذت تتسرب إلى النفوس، وتشجيع الحكم الاموي عليها، ليعبر بها منكراته وأعماله المنحرفة. 3 - اغراء محبي الدنيا، ورؤساء القبائل وغيرهم من الافراد الطامعين بالثروة والمنصب، وضعاف العقيدة والضمير، بمختلف المغريات من الاموال والمناصب، كما فعله مع زياد وعمرو بن العاص. 4 - إعادة النزعة القبلية والعصبية الجاهلية، وهذه تؤدي الى التفرقة والتنازع بين طوائف الامة، الأمر الذي يؤدي بدوره إلى الضعف والفشل، **(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)**<sup>(124)</sup>. 5 - التشجيع على نشر المجون والفساد الاخلاقي في الامة الاسلامية، من أجل تخديرها وقتل العقيدة بل الوعي وروح الفتوة ايضاً، وخاصة في المراكز الدينية

(123) القصص: 4.

(124) الانفال: 46.

المهمة كمكة والمدينة، وتلك البلدان التي يتوقع منها الثورة. 6 - اتباع سياسة الارهاب، من أجل اخماد الانفاس، وعدم التفكير في التحرك، ومواجهة أي تحرك بأقصى مواجهة وأشدّها. هذه وغيرها بإيجاز، أساليب وممارسات استخدمها معاوية من أجل تثبيت عرشه، والوصول لاطماعه، وخلق الوعي الاسلامي، وإسكات الأصوات الرافضة. لقد أراد معاوية أن ينشأ الجيل بل الاجيال اللاحقة من خلال أساليبه هذه، على تربية منحرفة بعيدة عن الروح الاسلامية، بل تحريف الدين نفسه وعرضه بصورة مشوّهة، فقد صرح هو نفسه بذلك، حينما أمر العمال والخطباء أن يسبوا الامام(عليه السلام) على المنابر، وأنه سيستمر في ذلك «حتى ينشأ أو يربو عليه الصغير، ويهلك أو يهرم عليه الكبير»<sup>(125)</sup>، ولولا الدماء الزكية لحجر وأمثاله، ولولا التحدي الذي قام به بعض المؤمنين الواعين، بالرغم من كل أساليب التحريف والارهاب والاغراء، لتمكن معاوية وخلفاؤه وجلاوزته، من تحقيق أهدافهم. لقد أدرك معاوية وزمرته أن الإسلام الأصل يعرقل أطماعهم ويهدم سلطانهم، لذلك حاولوا ضربه وضرب الأفراد الثابتين عليه. وكانت تحيط به حاشية تملك نفس الاطماع والانحرافات، وتتصف بالدهاء والشيطنة، لذلك كانت تخطط له الاساليب والممارسات التي يلزم على معاوية استخدامها في هذا المجال. لذلك كان معاوية هو وزمرته يرسمون الخطط المدروسة في هذا المجال، وينفذونها بكل دقة<sup>(126)</sup>. يقول ابن أبي الحديد، في (أخبار متفرقة عن معاوية): «وقد طعن كثير من أصحابنا في دين معاوية، ولم يقتصروا على تفسيقه، وقالوا عنه: إنه كان ملحدًا، لا يعتقد النبوة، ونقلوا عنه في فلتات كلامه وسقطات الفاظه ما يدل على ذلك». ثم ينقل عن الزبير بن بكار في الموفقيات عن المطرف بن المغيرة بن شعبة ما يدل على ذلك، ثم يقول: (وأما أفعاله المجانبة للعدالة الظاهرة من لبسه الحرير، وشربه في آنية الذهب والفضة، حتى أنكر عليه أبو الدرداء، فقال له: إني سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: إن الشارب فيهما ليجر جر في جوفه نار جهنم. وقال معاوية: أما أنا فلا أرى بذلك بأسًا. فقال أبو الدرداء: من عذيري من معاوية؟ أنا أخبره عن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يخبرني عن رأيه! لا أساكنك بارض أبداً). نقل هذا الخبر المحدثون والفقهاء في كتبهم في باب الاحتجاج... وهذا الخبر يقدر في عدالته كما يقدر في عقيدته... ومن المعلوم أيضاً من حالة استنثاره بمال الفيء، وضربه من لا حدّ عليه، واسقاط الحد عن يستحق إقامة الحد عليه، وحكمه برأيه في الرعية وفي دين الله، واستلحاقه زياداً، وهو يعلم قول رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): «الولد للفراش وللعاهر الحجر»، وقتله حجر بن عدي وأصحابه ولم يجب عليهم القتل، ومهانته لأبي ذر الغفاري، وجبهه وشتمه وإشخاصه إلى المدينة على قتب بغير وطاء لانكاره عليه، ولعنه علياً حسناً وحسيناً وعبدالله بن عباس على منابر الاسلام، وعهده بالخلافة إلى ابنه يزيد مع ظهور فسقه وشربه للسكر جهاراً، ولعبه بالنرد، ونومه بين القيان المغنيات، واصطباحه معهن، ولعبه

(125) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج 13 / ص 222.

(126) يلاحظ في هذا المجال ثورة الحسين(عليه السلام) للشيخ محمد مهدي شمس الدين / ص 47.

بالطنبور بينهن، وتطريقه بني امية للوثوب على مقام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخلافته حتى افضت إلى يزيد بن عبد الملك، والوليد بن يزيد المفتضحين الفاسقين...»<sup>(127)</sup>. وقال الشيخ محمد جواد مغنية في الشيعة والحاكمون: (وإلى جانب قطع الرأس والأيدي والأرجل والصلب ودفن الأحياء، فقد كان سجن معاوية يغص بالشيعة رجالاً ونساء، وكان معاوية يزور هؤلاء السجناء يبرد من غلته، ويخفف عنه ألم الحقد واللؤم، ولكن سجناء الشيعة كانوا يسمعون ما يزيد حرقاً وألماً، معاوية يقتل الأبرياء صبراً، ويدفنه أحياءً، ويقطع رؤوس الرجال ويهدىها إلى نسائهم المسجونات، ويشرد بالطيبين، ويسجنهم تحت الأرض، ويقطع الأيدي والأرجل، فعل هذا وأكثر من هذا بشيعة علي، بعد أن بايعوه وانقادوا له لا يخرجون من طاعة ولا يفارقون الجماعة، ومع ذلك قال قائل: كان معاوية رقيقاً حليماً كريماً»<sup>(128)</sup>. وفي الدرجات الرفيعة: «وروى أبو الحسن علي بن محمد بن أبي يوسف المدائني في كتاب الأحداث قال: (كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام المجاعة أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً، ويبرؤون منه، ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي (عليه السلام) وأهل بيته شهادة، فلبثوا بذلك حيناً، ثم كتب إلى عماله أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضل الصحابة والخلفاء الأولين لا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وائتوني بمناقض له من الصحابة، فإن هذا أحب إلي وأقر لعيني وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، والقي إلى معلمي الكتاب، فعلموا صبيانهم وغلماهم من ذلك الكثير الواسع حتى روه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، فلبثوا بذلك ما شاء الله تعالى، ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان واقطعوا عطاءه ورزقه وشفع ذلك بنسخة أخرى: من إتهمتموه بمولاة هؤلاء القوم فنكلو به واهدموا داره، فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق ولا سيما بالكوفة...»<sup>(129)</sup>. وكما يلاحظ القارئ، فإن هذه أساليب ومخططات مدروسة. أساليب ميكافيلية لا يتورع فيها معاوية، عن استخدام أبشع الممارسات في مطاردة الوعي الإسلامي وفي تشويه الإسلام وتحريفه، وتربية الناس على مبادئ منحرفة توطد له سلطانه حيث يتدرج في تغيير الأمة من مرحلة لآخرى بما يحقق هدفه من تغييرهم تماماً. ومن الشواهد البارزة، على عدم التزام معاوية بالإسلام، بل محاربته للإسلام والمسلمين، والشواهد كثيرة، موقفه من حجر بن عدي، كما أشارت لذلك عائشة حينما أثبتت معاوية على قتله لحجر

(127) شرح نهج البلاغة ج 5 / ص 129.

(128) الشيعة والحاكمون / ص 72.

(129) الدرجات الرفيعة / ص 7.

وأصحابه، وكذلك موقف الكثير من الصحابة والتابعين من معاوية حول هذه المجزرة، بل إحساس معاوية نفسه، بمخالفته للإسلام، في هذه الجريمة البشعة، وسنذكر كل ذلك لاحقاً. **حكاية مقتل حجر:** في البداية يجدر أن نقول: إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكذلك الامام علي (عليه السلام)، قد أخبرا عن مقتل حجر، وقد ذكرنا هذه الاحاديث خلال هذه الدراسة. أما حكاية مقتله، بواعثها، وظروفها، ووقائعها ونتائجها، فقد ذكرها أكثر المؤرخين، الذين بحثوا عن حجر، وما يلاحظ في أحاديثهم: 1 - أن بعض المؤرخين يكتفي بحديث قصير حول مقتل حجر، ولا يتوسع كثيراً في تفصيلاته، كما فعل ذلك المسعودي في مروج الذهب، وابن سعد في الطبقات. 2 - وهناك من بحث بتوسع عن مصرعه، واستعرض شتى الظروف التي أحاطت به، كما فعل الطبري في تاريخه، والاصفهاني في الاغانى، وابن الاثير في الكامل. 3 - ولكن رغم التشابه في أحاديثهم، إلا أن هناك بعض الاختلافات بينهم في بعض النقاط. وسوف نبحت بالتفصيل عن مصرع حجر وجماعته. وفي البدء لابد أن نعرف أن حجراً عاصراً من ولاية معاوية المغيرة بن شعبة، وزيد بن سمية، وله معهما مواقف بطولية سجلها التاريخ. ويجدر بنا ان نبحت بايجاز حول المغيرة وزيد. **المغيرة بن شعبة:** ذكر المؤرخون أن دهاة العرب خمسة، وهم: معاوية، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وقيس بن سعد، وعبدالله بن بديل، وكان قيس وعبد الله بن بديل، مع علي، والمغيرة بن شعبة معتزلاً بالطائف حتى حكم الحكماني<sup>(130)</sup>. ونذكر هنا بعض مواقفه وأعماله، مما يعرفنا بايجاز على مزاجه، وصفاته. لقد حث الامام (عليه السلام) على استبقاء معاوية وعمال عثمان على ولاية الشام وغيرها وهو من المتخلفين عن بيعة الامام أمير المؤمنين (عليه السلام)<sup>(131)</sup>. وقد طلب من الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) إبان الثورة على عثمان أن يعتزل الفتنة<sup>(132)</sup>. وقد اعتزل الجمل وصفيناً، منتظراً من ينتصر حتى ينحاز إليه، وقد انحاز إلى معاوية بعد التحكيم. واستجاب لمعاوية في سب أمير المؤمنين (عليه السلام) على المنابر وهو الذي كلفه معاوية في استمالة زياد الى صفه<sup>(133)</sup>. ويلاحظ من هذه المواقف وغيرها أن المغيرة كان يؤثر السلامة والراحة وتجنب المشاكل، وأنه كان متقلباً، ولم يكن مبدئياً، وهذا يدل على أن موقفه من حجر، لم يكن لدافع ديني، بل لأجل مزاجه، بما يتلاءم وسيرة حياته.

**زيد بن أبيه:** أما زيد فكان يتصف بالبطش والغلظة، وكان محباً للشهرة والمنصب، وكان مستعداً لأجل ذلك للتضحية بمبادئه وارتكاب أبشع الجرائم. فقد كان والياً من قبل الامام (عليه السلام)، وكان على الظاهر مؤمناً بمبادئه، ولكنه انقلب فجأة على عقبيه، وتحول حبه إلى عداً شديداً، كما صرح بذلك لحجر، وأخذ يطارد بعنف كل الموالين المؤمنين، ويرتكب أبشع الجرائم والمنكرات، ولكنه في نفس الوقت لم يستسلم لمعاوية تماماً، لذلك كان يحافظ على منصبه، وشخصيته، ويدعم معاوية ويحاول إرضاءه، لذلك

(130) بن مسكويه، تجارب الامم، ج 1 / ص 388.

(131) في رحاب أهل البيت ج 2 / ص 4.

(132) الطبري ج 3 / ص 422.

(133) يراجع شرح نهج البلاغة ج 16 / ص 180.

لم يقتل حجراً وأصحابه بنفسه، بل وجَّه لمعاوية، ولكنه في نفس الوقت، استخدم شهادة الشهود، لتتوجه النعمة اليهم، وليلقى اللوم على الشهود، وبذلك يحافظ على حكم معاوية، ومنصبه معاً. وقد صرح المغيرة بأن زياداً محب للشهرة والمنصب، لذلك قدم معاوية بعض التنازلات من أجل استمالة زياد الى صفه، لأنه كان يعرف صفاته وقدراته<sup>(134)</sup>، ولذلك ولاه على الكوفة اضافة لولايته على البصرة. وقد خاف زياد على منصبه من حركة حجر وأصحابه، لأنها تتهدد وجوده في الكوفة، لذلك واجهها بكل عنف وشدة، حتى يتسنى له المقام في العراق. ففي مروج الذهب: «كان زياد جمع الناس بالكوفة بباب قصره يحرّضهم على لعن علي فمن أبى ذلك عرضه على السيف»<sup>(135)</sup>. (وكان زياد يتتبع الشيعة، وهو بهم عارف، لأنه كان منهم، فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم، وقطع الايدي والارجل، وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشرّدهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم)<sup>(136)</sup>. ومن جرائمه قتله لعمر بن الحمق الخزاعي، فحين تولى زياد الكوفة، طلب عمرو بن الحمق الخزاعي، فهرب منه فاعتقل زوجته وسجنها، ثم تعقب عمرأ حتى ظفر به جلاوزة زياد، وقطعوا رأسه، فبعث به زياد إلى معاوية، وهو أول رأس طيف به في الاسلام. وكذلك فعل برشيد الهجري، وكان من خواص الامام(عليه السلام)، عرض عليه زياد البراءة واللعن، فأبى، ففقطع يديه ورجله ولسانه، وصلبه خنقاً في عنقه. وكذلك فعل بجويرية بن مسهر العبدي، حيث أخذه زياد فقطع يديه ورجليه وصلبه على جذع نخلة. وقد هدم بيت حجر بعد أن اعتقله وأرسله إلى معاوية. وفي مروج الذهب أن «معاوية عيّن زياداً والياً على المدينة، بالاضافة للكوفة والبصرة، وذلك في أواخر حياة زيد. واتصلت ولايته بأهل المدينة، (فاجتمع الصغير والكبير بمسجد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وضجوا إلى الله، ولاذوا بقبر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ثلاثة أيام، لعلمهم بما هو عليه من الظلم والعسف، فخرجت في كفه بثرة، ثم حكها ثم سرت واسودت فصارت آكلة سوداء، فهلك بذلك)<sup>(137)</sup>. **موقف حجر من ولاية معاوية:** عرفنا فيما سبق خوف معاوية من الامام(عليه السلام) وشيعته، على سلطانه حيث كان يرى في شخص الامام(عليه السلام) وشخصيته سداً أمام سلطانه. ففي حياته كان متمثلاً بوجوده الشريف، وأما بعد وفاته، فكان متمثلاً بالشيعة والموالين له(عليه السلام)، وفي شخصيته التي كان لها تأثير كبير في الامة الاسلامية. فأما الشيعة فقد استخدم معاوية مختلف الاساليب في القضاء عليهم، وأما شخصيته(عليه السلام)، فقد استخدم معاوية أسلوباً آخر من أجل تشويهها في المجتمع الاسلامي. وقد ذكرنا أساليبه في ذلك من وضع الاحاديث الكاذبة، وسبه للامام(عليه السلام) على المنابر وفرض ذلك على أئمة الجوامع والخطباء والولاة، من أجل توهين سمعة الامام وأهل البيت(عليهم السلام)، وحط مكانتهم بين المسلمين. **حجر والمغيرة بن شعبة:** عندما أراد معاوية تعيين المغيرة والياً

(134) يراجع شرح نهج البلاغة ج 16 / ص 180.

(135) مروج الذهب ج 3 / ص 26.

(136) الدرجات الرفيعة / ص 6.

(137) مروج الذهب ج 3 / ص 26.

على الكوفة، دعاه وقال له: (أما بعد فإن لذي الحلم قبل اليوم ما تقرر العصا، وقد قال المتلمس: لذي الحلم قبل اليوم ما تقرر العصا وما علم الانسان إلا ليعلم) وقد يجزي عنك الحكيم بغير التعليم، وقد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة، فأنا تاركها اعتماداً على بصرك بما يرضيني، ويسعد سلطاني ويصلح به رعيتي، ولست تاركاً إيصاءك بخصلة: لا تتحم<sup>(138)</sup> عن شتم علي وذمه، والترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب على أصحاب علي، والاقصاء لهم وترك الاستماع منهم، وبإطراء شيعة عثمان... والإدناء لهم والاستماع منهم. فقال المغيرة: قد جربت وجربت، وعملت قبلك لغيرك، فلم يذمم بي دفع ولا رفع ولا وضع، فستبلو فتحمد أو تذم، قال: بل نحمد إن شاء الله<sup>(139)</sup>. وأقام المغيرة على الكوفة سبع سنين وأشهرًا، ولم يدع في هذه المدة (ذم علي، والوقوع فيه، والعيب لقتلة عثمان واللعن لهم، والدعاء لعثمان بالرحمة والاستغفار له، والتزكية لأصحابه)<sup>(140)</sup>. (وكان المغيرة لا ينام عن شتم علي (عليه السلام) وأصحابه واللعنة بهم)<sup>(141)</sup>. ولكن حجراً المؤمن الموالى لم يسكت، فكان كلما سمع ذلك قال: «بل إياكم فذمم الله ولعن»، ثم قال: «إن الله عز وجل يقول: (كونوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ)، وأنا أشهد أن من تذمّون وتعيرون لأحقّ بالفضل، وأن من تزكونه وتطرونه أولى بالذم، فيقول المغيرة: يا حجر، لقد رمي بسهمك إذ كنت أنا الوالي عليك، يا حجر ويحك، اتق السلطان، اتق غضبه وسطوته، فإن غضبة السلطان أحياناً مما يهلك أمثالك كثيراً، ثم يكف عنه ويصفح»<sup>(142)</sup>. واستمر حجر و المغيرة على هذا الصراع، حتى كان في أواخر أيام المغيرة، فخطب كعادته، ونال من الامام (عليه السلام)، ولعن شيعته، ولم يسكت حجر (فوثب ونعر نكرة، سمعها كل من كان في المسجد وخارجه. قال له: إنك لا تدري أيها الانسان بمن تولع أو هرمت، مرلنا بأعطياتنا وأرزاقنا، فإنك قد حبستها عنا، ولم يكن ذلك لك، ولا لمن كان قبلك، وقد أصبحت مولعاً بذم أمير المؤمنين، وتقريظ المجرمين)<sup>(143)</sup>. وكان لهذه الوثبة صداها بين الحاضرين، إذ قام معه أكثر من ثلثي الناس، كما في رواية الطبري. أما في رواية الاغاني فقام معه أكثر من ثلاثين رجلاً - ولعل سبب الاختلاف بين ثلثين و ثلاثين هو اختلاف الخط القديم، ولعل الاصح هو (ثلثي الناس) - يقولون ما قاله حجر، ويكررون هذه النقمة، فاضطر المغيرة أن ينزل ويذهب إلى دار الإمارة، إلا أن بعض النفعيين والانتهازيين، الذين يتحينون مثل هذه الفرص، ليظهروا ولاءهم للسلطة الحاكمة، اجتمعوا عند المغيرة، وقالوا: «علام تترك هذا الرجل يقول هذه المقالة، ويجترئ عليك في سلطانك هذه الجراءة؟ انك تجمع على نفسك بهذا خصلتين، اما أولهما فتهوين سلطانك، واما الاخرى فان ذلك ان بلغ معاوية كان

(138) لا تتحم : لا تتورع .

(139) الطبري ج 4 / ص 188.

(140) المصدر السابق.

(141) الدرجات الرفيعة / ص 426.

(142) الدرجات الرفيعة / ص 426.

(143) الاغاني ج 16 / ص 4.

أسخط له عليك»<sup>(144)</sup>. قال لهم: «إني قد قتلتها، إنه سيأتي أمير بعدي فيحسبه مثلي فيصنع به شبيها مما ترونه يصنع بي، فيأخذه عند أول وهلة فيقتله شرّاً قتلة، إنه قد اقترب أجلي وضعف عملي، ولا أحب أن أبتدئ أهل هذا المصر بقتل خيارهم وسفك دمائهم، فيسعدوا بذلك وأشقى، ويعز في الدنيا معاوية ويذل يوم القيامة المغيرة»<sup>(145)</sup>. وهذا الموقف من المغيرة يتلاءم مع مزاجه وسلوكه، مضافاً إلى أنه يدلّ على تناقض بين أعماله ومعتقداته، فإذا كان يعتقد بأن حجراً وجماعته من الاخيار، وأن البطش بهم يؤدي إلى الذل يوم القيامة، فهذا يدلّ على أنهم على حق، وأن معاوية على باطل وضلالة، فلماذا يستجيب لمعاوية في سب الامام(عليه السلام)والطعن فيه، وفي شيعته وانصاره؟ ولماذا ينحاز إلى صف معاوية، ويواجه هؤلاء الاخيار؟ ولعل موقفه هذا لم يكن عن وازع ديني، وخوف حقيقي من القيامة، بل إنه هو الملائم لمزاجه وسلوكه، حيث كان يؤثر السلامة، ويتجنب المشاكل والمصاعب، أو لأن وجدانه يستيقظ في بعض اللحظات فيبصر الحق، ولكن حبّه للدينا، وماتراكم في نفسه من أدران، سرعان ما يقضي على صوت الوجدان. **حجر وزیاد:** ولما هلك المغيرة سنة (51) هجرية، عيّن معاوية زياد ابن أبيه على الكوفة، بالإضافة إلى ولايته على البصرة، وكان عليه أن يتخذ موقفاً متشدداً مع الشيعة، الذين يقود حجر حركتهم في الكوفة. وفي بداية الامر حاول زياد إغراء حجر، لعله يتراجع عن موقفه، ويكفّ عن أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، لذلك (وجه إلى حجر فجاءه، وكان له قبل ذلك صديقاً، فقال له: «قد بلغني ما كنت تفعله بالمغيرة، فيحمله منك، وإني والله لا احتملك على مثل ذلك أبداً، رأيت ما كنت تعرفني به من حبّ علي وودّه، فإن الله قد سلخه من صدري فصيرّه بغضاً وعداوة، وما كنت تعرفني به من بغض معاوية وعداوته، فإن الله قد سلخه من صدري وحوّله حباً ومودة، وإني أخوك الذي تعهد، إذا اتيتني وأنا جالس للناس، فاجلس معي على مجلسي، وإذا أتيت ولم أجلس للناس، فاجلس حتى أخرج اليك، ولك عندي في كل يوم حاجتان: حاجة غدوة، وحاجة عشية. إنك إن تستقم تسلم لك دنياك ودينك، وإن تأخذ يميناً وشمالاً، تهلك نفسك وتشط عندي دمك. إني لا أحب التنكيل قبل التقدمة، ولا آخذ بغير حجة، اللهم اشهد»<sup>(146)</sup>. فإن زياداً حاول إغراءه وتهديده في نفس الوقت، لما يعرفه من شعبية حجر وشهرته، وقدم له الكثير من التنازلات والاغراءات حتى يكف عن موقفه الاسلامي المشروع، ولكن حجراً لم يستسلم ولم يسكت، وكانت مواقف حجر اللاحقة جواباً على هذا الاغراء والتهديد. فقد ذكر اليعقوبي في تاريخه: «وحين قدم زياد الكوفة خطب خطبة له مشهورة لم يحمد الله فيها، ولم يصلّ على محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) وأرعد فيها وأبرق، وتوعّد وتهدّد، وأنكر كلام من تكلم، وحذرهم ورهبهم»<sup>(147)</sup>. وقال غيره: ولما ولي زياد جمع أهل الكوفة، فملاً منهم المسجد والرحبة والقصر، ليعرضهم على البراءة من علي، فقام في

(144) الطبري ج 4 / ص 189.

(145) الطبري ج 4 / ص 189.

(146) الاغانى ج 16 / ص 4.

(147) تاريخ اليعقوبي ج 2 / ص 217.

الناس وخطبهم، ثم ترحم على عثمان، وأثنى على أصحابه ولعن قاتليه. فقام حجر ففعل مثل الذي كان يفعله بالمغيرة. وحين ذهب زياد إلى البصرة بحسب ولايته عليها، فإنه كان يشتو في البصرة، ويعين عمرو بن حريث بالكوفة نيابة عنه، ويصيف بالكوفة، ويعين سمرة بن جندب نيابة عنه في البصرة. فحين ذهب للبصرة كان حجر يجلس في المسجد، ويجلس حوله أصحابه، يلهجون باللعن لمعاوية وشتهم زياد، وتوسعت حلقتهم أكثر، ولما ارتقى عمرو بن حريث المنبر، وجرى على سنة الولاة آنذاك، لم يسكت حجر وأصحابه على ذلك، بل أخذوا بالتكبير، ولما دنوا من عمرو حصوه، فرجع للقصر، وكتب رسالة لزياد، ولما وصلت الرسالة لزياد قال وهو في البصرة: «ما أنا بشيء إن لم أمنع الكوفة من حجر، وأدعه نكالا لمن بعده ويل أمك يا حجر، لقد سقط العشاء على سرحان، ثم أقبل إلى الكوفة فدخل القصر، ثم خرج وعليه قباء سندس ومطرف خز أخضر، وحجر جالس في المسجد وحوله أصحابه»<sup>(148)</sup>. بينما يذكر الطبري سبباً آخر لنقمة زياد على حجر، ينقله عن عوانة: «خطب زياد يوماً في الجمعة، فأطال الخطبة وأخر الصلاة، فقال له حجر بن عدي: الصلاة. فمضى في خطبته، ثم قال: الصلاة. فمضى في خطبته، فلما خشي حجر فوت الصلاة ضرب بيده إلى كف من الحصى وثار إلى الصلاة، وثار الناس معه، فلما رأى ذلك زياد نزل فصلى بالناس. فلما فرغ من صلاته كتب إلى معاوية في أمره، وكثر عليه، فكتب إليه معاوية أن شده في الحديد، ثم أحمله إليّ، فلما أن جاء كتاب معاوية، أراد قوم حجر أن يمنعوه، فقال: لا، ولكن سمع وطاعة، فشد في الحديد، ثم حمل إلى معاوية»<sup>(149)</sup>. والملاحظ في رواية الطبري أنها أرادت اختصار الطريق، والظاهر أن هناك مواقف عديدة واجه فيها حجر زياداً، فكانت سبباً في اشتداد نقمته عليه، حيث لم يستجب لأغراءاته وتهديداته، ولم يكف عن أعماله. منها رده على خطبه، ومنها هذا الموقف منه، وكل تلك، أدت إلى أن يفكر زياد في أساليب أخرى للقضاء عليه، وعلى كل حال فإن مواقف حجر كانت لاجل النهي عن المنكر، واستنكاره الطعن في أهل البيت الذين أمر الله بمودتهم، أو لاجل تأخير الصلاة عن وقتها، أو لاجل ما ارتكبه الولاة من جرائم وانحرافات واستنثار باموال المسلمين. ففي الدرجات الرفيعة: «لما وثى معاوية زياد ابن أبيه الكوفة، خطب زياد فقال: أما بعد، فإن غب البغي وخيم، وإيم الله لنن لم تستقيموا لأداوينكم بدوائكم، ولست بشيء إن لم أحم ناحية الكوفة من حجر بن عدي وأدعه نكالا لمن بعده»<sup>(150)</sup>. فاستدعى زياد أمير الشرط (شداد بن الهيثم الهلالي) وأخبره أن يأتي بحجر، فذهب ليأتي به، إلا أن أصحابه منعه من أخذه، فرجع هذا إلى زياد خائباً، فبعث زياد معه نفرأ، فرجعوا إلى حجر، إلا أن جماعة سبّوهم وشتموهم، وبعد ذلك، غضب زياد، فجمع شيوخ الكوفة وأمرهم بسحب أولادهم وأفراد عشيرتهم، من جماعة حجر، فقام كل رئيس بذلك. وهذا يكشف أن زياداً كان يخطط

(148) الاغانى ج 16 / ص 5.

(149) الطبري ج 4 / ص 90.

(150) الدرجات الرفيعة / ص 427.

للقضاء على حجر، وتجنب النعمة التي سوف يثيرها اعتقاله، أو قتله، لذلك استخدم رؤساء العشائر المنتفعين في مواجهة انتفاضة حجر وجماعته، ولرؤساء العشائر تأثيرهم الكبير في ذلك المجتمع العشائري، كما استخدمهم أيضاً في الشهادة على حجر، وكما استخدم غيره رؤساء القبائل المنحرفين والمتزلفين، حربة في مواجهة الاصوات المؤمنة الرافضة، لما يعلمونه من تأثيرهم في ذلك الوسط القبلي. وفي الوقت الذي كان ابناء الأمة يعيشون حالة الجوع والهوان، كان معاوية وزياد وامثالهما يقربون رؤساء القبائل ويغرونهم بالأموال والمناصب استمالة لهم، واسكاتاً لأصواتهم، إذ ان في اسكاتهم اسكاتاً للقبائل الخاضعة لهم، وشغلهم عن التفكير في مواجهة السلطات الغاشمة بالرغم من الاوضاع المزرية التي يعيشونها. وقد استجاب رؤساء القبائل لطلب زياد، وسحبوا ابناء قبائلهم من جماعة حجر (فلما رأى زياد خفة فيهم قال لصاحب شرطته: اذهب فائتني بحجر، فإن تبعك وإلا فمر من معك أن ينتزعوا غمد السيوف، ثم يشدوا عليه حتى يأتوا به، ويضربوا من حال دونه)<sup>(151)</sup>. فذهب شداد بن الهيثم ليأتي بحجر إلى زياد، إلا أن أصحاب حجر أجابوا: «لا والله ولا نعمة عين»، حينئذ نفذ ما أمر به زياد، ولما كان أصحاب حجر قد خفوا بعملية زياد السابقة بعد استدعائه شيوخ الكوفة وسحبهم لافراد عشيرتهم، ولما كان أصحاب حجر الباقون الملتقون حوله مجردين من السلاح إلا سيفاً واحداً، كما أشار الى ذلك أحد أصحاب حجر، وهو عمير بن يزيد الكلبي، وهذا يدل على أن حجرأ وجماعته لم يفكروا في الاطاحة بالحكم الاموي بمقاتلة زياد أو معاوية، وإلا لكانوا يعدّون العدة لذلك، وبعد ذلك اضطر حجر نزولاً عنه إلحاح أصحابه إلى الاختفاء، فلحقته جلاوزة زياد، وتمكنوا من ضرب عمرو بن الحمق الخزاعي، الصحابي المعروف، مما اجبر أصحاب حجر على أن يحملوه إلى إحدى الدور لمعالجته. ولما رأى زياد اختفاء حجر، حينئذ لجأ إلى عملية تقليدية خبيثة أخرى لمطاردة حجر، ثم القضاء عليه بعد أن وجد أن مهمة القضاء على حجر مهمة عسيرة لما لشخصيته الدينية والقبليّة من تأثير كبير في الكوفة، بأن أوعز لبعض القبائل مهمة مطاردة حجر، وبذلك يحوّل قضية حجر إلى قضية داخلية، وقبلية، وأن قبائل الكوفة هي التي طاردت حجرأ واعتقلته، وبذلك يجنّب نفسه النعمة التي يتوقع انفجارها. ونحن نعلم بأن أحد أساليب المستكبرين في إسكات الشعوب، وتبديد قواها الذي يؤدي ذلك بالتالي إلى سيادة المستكبرين، هو سلاح التفرقة. وقد استخدم الطغاة عبر التاريخ هذا السلاح في مواجهة الشعوب، وكما أشار القرآن الكريم إلى الاساليب التي استخدمها فرعون في توطيد سلطانه، ومن هذه الاساليب نشر الفساد الاخلاقي، وإذلال الأمة وامتئانها، والتفرقة، (وجعل أهلها شيعاً)، وبث الذعر والخوف من السلطة الحاكمة، من خلال قتل كبارهم أو التنكيل بهم، وغيرها من الاساليب، التي استخدمها الطغاة والمستكبرون على مرّ التاريخ. ومنهم معاوية وزياد والحجاج وغيرهم. ولذلك أوعز زياد مهمة مطاردة حجر والقبض عليه إلى بعض القبائل، بأن تحاصر الحيّ الذي اختفى فيه حجر، وتفتش عنه في دورها، وتقبض عليه، فارتقى المنبر

وقال: «للقم همدان وتميم وهوازن وأبناء بغيض ومذحج وأسد وطفان، فليأتوا جبانة كندة، ولیمضوا ثم إلى حجر، فليأتوني به»<sup>(152)</sup>، ولكنه التفت إلى ناحية قبلية مهمة، وهو الخوف من الصراع والتناحر المباشر بين هذه القبائل المتعاونة إذا أرسلها مجتمعة، وبذلك يشغلها هذا الصراع عن مهمة المطاردة لحجر (فكره أن تثير مضر مع اليمن فيقع شغب واختلاف، وقد تنشب الحمية فيما بينهم)<sup>(153)</sup>، وذلك لأن بعض هذه القبائل، ممن يرتبط بحجر بعلاقة قبلية، في ذلك الوسط القبلي، ربما تنثور حميتها من مطاردة القبائل الأخرى لزعيم من زعمائها، وربما كان يخشى أن تتعاطف مع قضية حجر، أو على الأقل، يتجنب مطاردته، كما فعلت بعض القبائل حيث انسحبت، ولو أرسلها مجتمعة فربما أثر هذا الموقف على سائر القبائل الأخرى. ولذلك فرّقهم زياد لهذه العوامل، وأرسل كلاً منها إلى جانب لمحاصرة حجر، ولكن أهل اليمن لقربانهم مع قبيلة حجر، كندة، اعتزلوا هذه العملية، بصورة مباشرة، خوفاً من نشوب صراع بينهما، فتباطؤوا في العمل دون علم زياد - حسب إشارة أحد زعمائهم - ظناً بأن مذحجاً وحمدان سوف تسبقهم بالقيام بهذه المهمة، وعندما وصلت مذحج وحمدان إلى مكان اجتماع حجر وأصحابه، شعر حجر أن لا فائدة من مقاتلتهم لقلة أصحابه، فأمر أصحابه بعدم القتال، واختفى هو في دار أحد أصحابه، ولكن بالرغم من ذلك، نشبت معركة قصيرة بينهما، أدت إلى جرح عدد من أتباع حجر، وأسر آخرين، ولما علم حجر بأن مغبة الأمر ليست في صالحه، أمرهم بترك القتال، وكان صاحب الدار التي اختفى فيها حجر، قد استعد لمقاتلة كل من تسول له نفسه الاقتراب من حجر، ولما رأى حجر أن ذلك يعني تعريض هذا الشخص إلى القتل، للعدد الكبير من الأعداء، ابتعد عن منزله أيضاً، إلى دار شخص آخر من أصحابه، وهو (عبد الله بن الحارث) أخو الأشتر، وعلم جلاوزة زياد بذلك، فابتعد أيضاً عن داره إلى دار أخرى، وهكذا لم يبق له أثر يدلّ عليه. وبعد أن فشلت، كل هذه المحاولات، في القبض على حجر، لجأ زياد إلى عملية خبيثة أخرى، وهي إثارة الشقاق والصراع بين أفراد القبيلة الواحدة، فقد (أمر محمد بن الأشعث الكندي بالقبض عليه هادفاً من وراء ذلك إلى زرع بذور الشقاق في كندة، وهي من أقوى قبائل الكوفة، ليستريح من وحدتها، ويلهي كلاً من أنصار حجر وأنصار محمد بأعدائه الجدد، ولكن يقظة حجر فوتت على زياد هذه الفرصة فسلم نفسه إلى السلطة طوعاً) بعد أن أخذ الأمان من زياد حتى يبعثه إلى معاوية ليرى فيه رأيه، (فبعثوا إليه - أي إلى حجر - رسوله ذلك يعلمونه ان قد اخذنا الذي تسأل وامروه ان يأتي، فاقبل حتى دخل على زياد، فقال زياد: مرحباً بك أبا عبد الرحمن حرب في أيام الحرب وحرب وقد سالم الناس؟! على أهلها تجني براقش. قال: ما خالعت طاعة ولا فارقت جماعة واني لعلی بيعتي. فقال: هيهات هيهات يا حجر تشبح بيد وتأسو باخرى وتريد إذ امكن الله منك ان نرضى؟ كلا والله. قال:

---

(152) الاغانى ج 16 / ص 7.

(153) المصدر السابق.

ألم تؤمني حتى آتي معاوية فيرى في رأييه؟ قال: بلى قد فعلنا، انطلقوا به الى السجن<sup>(154)</sup>. وهكذا انتهت اولى مراحل الصراع مع حجر بالقبض عليه وسجنه وبعد ذلك أخذ زياد في مطاردة اصحاب حجر واحداً بعد آخر واعتقالهم وإيداعهم السجن، كما فعل بحجر فجمع منهم اثني عشر رجلاً في السجن. (وجد زياد في طلب أصحاب حجر فهربوا، وأخذ من قدر عليه منهم... فجاء قيس بن عباد الشيباني إلى زياد فقال له: ان امرأ منا يقال له صيفي، من رؤوس أصحاب حجر، فبعث زياد فأتى به، فقال: يا عدو الله ما تقول في أبي تراب؟ قال: ما أعرف أبا تراب. فقال: ما أعرفك به! أتعرف علي بن أبي طالب؟ قال: نعم. قال: فذاك أبو تراب. قال: كلا ذاك ابو الحسن والحسين، فقال له صاحب الشرطة: يقول الامير: هو أبو تراب، وتقول: لا؟ قال: فإن كذب الامير أكذب أنا وأشهد على باطل كما شهد؟ فقال له زياد: وهذا أيضاً علي بالعصا، فأتى بها، فقال: ما تقول في علي؟ قال: أحسن قول. قال: اضربوه. حتى لصق بالأرض، ثم قال: اقلعوا عنه. ما قولك في علي؟ قال: والله لو شرحتني بالمواسي ما قلت إلا ما سمعت مني، قال: لتلعننه، أو لاضربن عنقك. قال: لا أفعل. فأوثقوه حديداً وحبسوه<sup>(155)</sup>. ويكفي نقل هذه الخبر عن التعليق عليه، وهو موقف بطولي من أصحاب حجر، يدل على عمق ما يملكونه من ولاء وإيمان. (فبعث - زياد - إلى قبيصة بن ضبيعة بن حرملة العبسي صاحب الشرطة وهو شداد بن الهيثم. فدعا قبيصة في قومه، وأخذ سيفه فأتاه ربعي بن حراش بن جحش العبسي، ورجال من قومه ليسوا بالكثير، فاراد أن يقاتل، فقال صاحب الشرطة: أنت آمن على دمك ومالك، فلم تقتل نفسك؟ فقال له أصحاب: قد اومنت فعلام تقتل نفسك وتقتلنا معك؟ قال: ويحكم إن هذا الدعي ابن العاهرة، والله لئن وقعت في يده لا أفلت منه أبداً أو يقتلني. قالوا: كلا. فوضع يده في ايديهم فأقبلوا به الى زياد، فلما دخلوا عليه قال زياد: وحي عبس تعزوني على الدين، اما والله لاجعلن لك شاغلاً عن تلقيح الفتن والتوثب على الامراء. قال: اني لم آتك إلا على الامان. قال: انطلقوا به إلى السجن<sup>(156)</sup>. وقتل مع من قتل من أصحاب حجر. ويدل هذا الخبر على أن زياداً أعطى الامان لحجر وأصحابه، ثم غدر بهم. ويدل أيضاً على أن أصحاب حجر كانوا يعلمون سابقاً بأن القتل مصيرهم.

**الشهادة على حجر:** إن إعطاء زياد الامان لحجر وأصحابه لا يعني السكوت عنهم، أو الاكتفاء باعتقالهم وحبسهم، فقد رأى أن وجود حجر يشكل خطراً يهدد وجوده ووجود الحكم الأموي ليس في الكوفة فحسب، بل في العراق عامة. بل قد يمتد تأثيره الى سائر الاوساط لما عرفته من قوة شخصيته، وعدالة موقفه، واحقية مطالبه، فاراد زياد ان يقضي على حركة حجر قضاء تاماً ليتخلص من هذا الخطر، وذلك بالقضاء على حجر وجماعته المؤمنين الثائرين ولكن القضاء على حجر ليس امراً يسيراً

(154) تاريخ الطبري ج 4 / ص 196.

(155) الكامل ج 3 / ص 477، والطبري ج 4 / ص 198.

(156) الطبري ج 4 / ص 197.

كالقضاء على بعض الافراد، او الشخصيات الاخرى للأسباب التالية: 1 - شخصية حجر الاجتماعية بين المسلمين، بوصفه صحابياً وزعيماً دينياً معروفاً بالثقة والتقوى، وربما بعث قتله الاستنكار والغضب بين المسلمين، وكذلك لما لشخصيته من ثقل اجتماعي عند قبيلته كندة، مما يبعث فيهم الشعور القبلي وطلب الثأر. 2 - أن حجراً أخذ الأمان من زياد، لذلك لا يستطيع زياد قتله بعد هذا الأمان وإلا أدى ذلك إلى نشوء تساؤل فتوتر واضطراب داخل الكوفة. 3 - أن حجراً أعلن مراراً أنه باق على بيعته لمعاوية، فلا يكون هناك سبب يبرر قتله، سوى انكاره على ولاية معاوية في سبهم للإمام (عليه السلام) في خطبهم، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فلا يملك ذلك المبرر القوي المبيح لقتله. وهذه الأسباب وغيرها وضعت زياداً أمام موقف حرج، فهو من جانب يرى ضرورة القضاء على حجر وقتله، لتوطيد سلطانه، وتثبيت دعائم الحكم الأموي، ومن جانب آخر لا يتمكن من قتله للأسباب المذكورة، ففكر في الطريق الذي يلزم عليه سلوكه في هذا المجال، ولم يجد أفضل من الشهادة على حجر بأنه قد ارتكب ما يبرر قتله من نقضه لبيعة معاوية، ومن تحريضه على نقض البيعة، والاطاحة بحكمه، وكفره بالله. فهو بذلك: 1 - سوف يسلب من شخصية حجر، أو من قضية مصرعه، تأثيرها الديني والاجتماعي، بشهادة بعض الشيوخ والافراد الذين لهم تأثيرهم بحسب بعض الاعتبارات الاجتماعية والقبلية آنذاك. 2 - سوف يملك معاوية المبرر الشرعي، كما يتوهم لقتله، أمام الرأي العام، وهو نقضه لبيعته، أو العمل على الاطاحة بحكمه، لذلك حينما واجه حجر معاوية بأنه باق على بيعته له انهار امام هذا الاعتراف، إلا أنه سرعان ما وجد الخلاص، بأن قال: زياد أصدق من حجر.



وفي كل ما تقدم، رأينا أن زياداً عندما طلب من الشهود الشهادة أمرهم أن يذكروا في متن الشهادة عناصر لها أهميتها في تبرير قتل حجر وجماعته، بحيث تخدم بعض الافراد، ولو ان الواعين لم تخدمهم هذه الشهادة، ولذلك استنكر جريمة معاوية الكثير من الصحابة و غيرهم كما سيأتي ذلك، لأن حجراً لم يقترب ما يبرر قتله بهذه الصورة الوحشية.

ويذكر المؤرخون في هذا المجال أن زياداً بعد أن جمع اثني عشر رجلاً من أصحاب حجر في السجن، بعث إلى رؤوس الارباع - لأن الكوفة كانت تقسم إلى أربع مناطق - فحضرُوا فقال: اشهدوا على حجر بما رأيتموه. وهم عمرو بن حريث على ربع أهل المدينة، وخالد بن عرفة على ربع تميم وهمدان، وقيس بن الوليد على ربع ربيعة وكندة، وأبو بردة بن أبي موسى الاشعري على ربع مذحج وأسد، فشهدوا أن حجراً جمع إليه الجموع، وأظهر شتم الخليفة، ودعا إلى حرب امير المؤمنين، وزعم ان هذا الامر لا يصلح الا في آل ابي طالب ووثب بالمصر واخرج عامل امير المؤمنين، وأظهر عذر أبي تراب والترحم عليه، والبراءة من عدوه وأهل حربه، وأن هؤلاء الذين معه رؤوس أصحابه، وعلى مثل رأيه وامره، ولكن زياداً لم يجد في متن الشهادة، وفي عدد الشهود ما يكفي، لذلك أراد أن يذكر في متن الشهادة بعض المبررات التي تعطيها صفة شرعية تسوّج لمعاوية قتلهم أمام الرأي العام، بأن ينصّ فيها على نقضه للبيعة، ودعوته الناس لنقضها، وتحريضهم على الاطاحة بالحكم الاموي، وأنه قد خرج من الدين وكفر بالله، وان لا يقتصروا في الشهادة على استنكار حجر لسبب الامام(عليه السلام) فحسب.

ولذلك وضع أبو بردة بن أبي موسى - وسيأتي بعض الحديث عنه - صيغة أخرى للشهادة ارتضاها زياد، لأنه كتب فيها العناصر التي ينشدها زياد (فكتب أبو بردة: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أشهد عليه أبو بردة بن أبي موسى الله رب العالمين، شهد أن حجراً بن عدي خلع الطاعة، وفارق الجماعة، ولعن الخليفة، ودعا إلى الحرب والفتنة. وجمع إليه الجموع، يدعوهم إلى نكث البيعة وخلع أمير المؤمنين معاوية، وكفر بالله كفره صلعاء)<sup>(1)</sup>، ومراده من (كفرة صلعاء) انه يوالي الامام علياً(عليه السلام) كما سيأتي توضيح ذلك وهذا يوجب الكفر عند زياد وابي بردة.

ومن الواضح إن هذه شهادة زور، ودعوى باطلة، إذ إن حجراً كان بريئاً من هذه التهم، ولم يقدّم بمثل هذه الاعمال التي نصّ عليها في هذه الشهادة، مع تصريح حجر نفسه، وتصريح سائر الصحابة والمستنكرين لمصرع حجر.

وشهد مع أبي بردة رؤوس الارباع الباقون، ولم يكتف زياد بهذا العدد من الشهود، بل أراد أن يعطي لهذه الشهادة صورة جماعية، بمستوى الاستفتاء الشعبي، أو على الاقل بمستوى مجلس أهل الحل والعقد، فجمع الناس وطلب منهم تأييد هذه الشهادة، فسارع بعض المنتفعين حتى اجتمع له سبعون رجلاً.

---

(1) الاغاني ج 16 / ص 11، والطبري ج 4 / ص 200.

لقد قال زياد عن الصيغة الاولى للشهادة، وعن عدد الشهود وهم أربعة (ما أظن هذه شهادة قاطعة وأحب أن يكون الشهود أكثر من أربعة). ثم بعد أن وضع أبو بردة صيغة الشهادة الثانية، وأمضاها رؤوس الارباع الباقون قال زياد: على مثل هذه الشهادة فاشهدوا، اما والله لأجهدن على قطع عنق الخائن الاحمق. ثم إن زياداً دعا الناس فقال: اشهدوا على مثل ما شهد عليه رؤوس الارباع، فقام عناق بن شرحبيل التيمي أول الناس، فقال: بينوا اسمي، فقال زياد: ابدأوا بأسمي قريش ثم اكتبوا اسم عناق في الشهود ومن نعرفه، ويعرفه أمير المؤمنين بالنصيحة والاستقامة. وكان من جملة الشهود شداد بن المنذر أخو الحصين بن المنذر، وكان يدعى ابن بزيعة، فقال زياد: ما لهذا أب يُنسب إليه ألقوا هذا من الشهود، فقيل له: إنه أخو الحصين وهو ابن المنذر، قال: فانسبوه الى ابيه فنسب، فبلغ ذلك شداداً فقال: وبلي على ابن الزانية، أو ليست أمّه أعرف من أبيه؟! والله ما ينسب إلا إلى أمّه سمية<sup>(2)</sup>.

إذن، فكان يختار تلك الاسماء المعروفة لاعتبارات اجتماعية او قبلية، ويترك الاسماء غير المعروفة، لتكون الشهادة اكثر وقعاً في النفوس.

كما انهم أضافوا للشهود أسماء بعض الشخصيات آنذاك، دون ان توافق على هذه الشهادة، امثال شريح بن الحارث، وشريح بن هانئ، فأما شريح بن الحارث فقال: سألني عنه - أي عن حجر - فقلت: أما إنه كان صوّاماً قوّاماً. وأما شريح بن هانئ، فقال: ما شهدت. ولقد بلغني أن قد كتبت شهادتي فاكذبته ولمته. وكتب كتاباً إلى معاوية وبعثه إليه بيد وائل بن حجر، وفي الكتاب: أما بعد فإنه بلغني أن زياداً كتب اليك بشهادتي على حجر بن عدي، وإن شهادتي على حجر، أنه ممن يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويديم الحج والعمرة، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، حرام الدم والمال، فإن شئت فاقتله، وإن شئت فدعه. فلما قرأ معاوية الكتاب قال: ما أرى هذا إلا قد أخرج نفسه من شهادتكم<sup>(3)</sup>.

وكتب أيضاً شهادة السري بن وقاص الحارثي، وهو غائب في عمله.

(فغضبت ربيعة على هؤلاء الشهود الذين شهدوا من ربيعة وقالوا لهم: شهدتم على اوليائنا وحلفائنا؟! فقالوا: ما نحن الا من الناس)<sup>(4)</sup>.

وقد طلبوا من بعض الافراد أن يشهدوا، ولكنهم لم يستجيبوا له، وهم اسماء بن خارجة الفزاري، والهيثم بن الاسود النخعي، ودعا المختار بن ابي عبيد وعروة بن المغيرة بن شعبة فراغا. ونحن لو تأملنا في الشهادة وظروفها، وشهودها لرأينا:

**1 -** أن زياداً لم يقتل حجراً بنفسه، لئلا يفقد رصيده في العراق. مركز الشيعة، ومركز زياد، فإن حدث رد فعل واستنكار بعد ذلك، فسوف تتجه النعمة إلى معاوية، ليحتفظ هو بمركزه، كما توجه بالفعل استنكار

(2) يراجع الطبري ج 4 / ص 201.

(3) يراجع الطبري ج 4 / ص 201، والاغاني ج 16 / ص 13.

(4) الطبري ج 4 / ص 200.

الامة الى معاوية، بل ربما يعطي لمعاوية أيضاً سبيل الخلاص من هذه النعمة والاستنكار، حيث يمكن لمعاوية أن يلقي اللوم على اليهود، ويجنب نفسه رياح الثورة والاستنكار، وبذلك يتجنب زياد نفسه، ويتجنب معاوية ايضاً الضجة التي سيحدثها مصرع حجر.

2 - أن الشهادة اشتملت على العناصر التي كان ينشدها زياد، لمواجهة الضجة التي سيحدثها مقتل حجر أو تقليلها، من حيث زيادة عدد الشهود، وكونهم من الاسماء المعروفة لبعض الاعتبارات، ومن حيث بنود الشهادة، حيث نص فيها على نقض حجر لبيعة معاوية وتحريضه الناس على نقضها، وكفره بالله وخروجه عن الدين، وهذه العناصر ربما أثرت في اسكات الغضب الجماهيري الذي سينجم عن قتل حجر وجماعته.

وربما أثرت هذه العناصر على بعض الافراد غير الواعين، ولكنها لم تؤثر على أصحاب الوعي الذين عرفوا واقع الشهادة والشهود، ولذلك استنكروا مقتل حجر، ومن ثم تسرب هذا الاستنكار إلى سائر الامة. فكان مقتل حجر من جملة الحوافز التي دفعت بعض الجماعات للانتفاض بوجه الحكم الاموي.

وعلق الشيخ الاميني على هذه الشهادة، وهؤلاء الشهود بقوله: (هذه شهادة زور لفقها ابن أبيه أو ابن امه على أصناف من الناس، منهم الصلحاء الاخيار الذين اكذبوا ذلك العزو المختلق، كشريح بن الحارث، وشريح بن هانئ، ومن هذا حذوهما، وشهدوا بخلاف ما كتب عنهما. ومنهم من كانوا غائبين عن ساعة الشهادة وساحتها، لكن يد الافك اثبتتها عليهم كابن وقاص الحارثي ومن يشاكله. ومنهم رجرجة من الناس يستسهلون شهادة الزور، ويستسوغون من جرائمها اراقة الدماء، ليس لهم من الدين موضع قدم ولا قدم، كعمر بن سعد، وشمر بن ذي الجوشن، وشبث بن ربعي، وزجر بن قيس، فتنازعوا بشهادة باطلة لأجلها وصفهم الدعي بأنهم خيار أهل المصر وأشرفهم، وذوو النهى والدين. وإن معاوية جد عليم بحقيقة الحال، لكن شهوة الواقعة في كل ترابي<sup>(5)</sup> حبّدت له قبول الشهادة المزورة والتكليف بحجر وأصحابه الصلحاء الاخيار، فصرم بهم أصول الصلاح، وقطع أوامرهم يوم أودى بهم، ولم يكثرث لمغبة ما ناء به من عمل غير مبرور، فالى الله المشتكى<sup>(6)</sup>).

والحديث عن بعض الشهود وانحرافهم عن مبادئ الاسلام، أمثال عمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن وشبث بن ربعي وغيرهم طويل، يعرفه كل من قرأ تاريخ حياتهم، وجرائمهم في كربلاء معروفة، ولكن نكتفي هنا بذكر موقف واحد من مواقف أبي بردة، وهو من رؤوس هذه الشهادة.

قال عنه ابن أبي الحديد: (ومن المبغضين القالين - للامام علي(عليه السلام) - أبو بردة بن أبي موسى الاشعري، ورث البغضة له لاعتلاله<sup>(7)</sup>). وروى عبد الرحمن بن جندب قال، قال: ابو بردة لزياد: اشهد

(5) نسبة إلى أبي تراب الامام علي (عليه السلام).

(6) الغدير ج 11 / ص 48.

(7) أي لم يرثه عن عرض بل قرب، يريد أنه ورث البغض عن أبيه أبي موسى الاشعري.

ان حجر بن عدي قد كفر بالله كفره أصلح. قال عبدالرحمن: إنما عنى بذلك نسبة الكفر إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام)، لأنه كان أصلح. قال: وقد روى عبد الرحمن المسعودي عن ابن عياش المنتوف، قال: رأيت أبا بردة قال لأبي العادية الجهني قاتل عمار بن ياسر: أنت قتلت عمار بن ياسر؟ قال: نعم. قال: ناولني يدك، فقبلها وقال: لا تمسك النار أبداً<sup>(8)</sup>.

وقد تنكر أبو بردة في موقفه هذا للكثير من الأحاديث التي وردت عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في عمار منها: «ما لهم ولعمار! يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار» ومنها قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من عادى عماراً عاداه الله، ومن أبغض عماراً أبغضه الله»<sup>(9)</sup>.

ومما يجدر الإشارة إليه موقف أهل الكوفة من حجر وجماعته، حيث لم يندفعوا للدفاع عنه، والوقوف بوجه زياد، أو منعه عن السير بهم إلى معاوية، بعد أن كانوا ملتفين حول حجر ومؤيديه لحركته. وهناك عوامل كثيرة أدت إلى حصول هذا الموقف، ومنها أساليب التهريب والإغراء التي استخدمها زياد ومعاوية وغيرهما من الحكام والولاة، التي صنعت مثل هذه الحالة بين المسلمين، بالرغم من احساسهم الداخلي ببشاعة أعمال الحكام والولاة، وانحرافها عن الإسلام، ومواقفهم المجرمة بحق أهل البيت (عليهم السلام) والموالين لهم. وليس هذا الموقف من أهل الكوفة أول موقف ولا آخره، فقد وقفوا أمثاله مع الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) والإمام الحسن (عليه السلام) قبل حجر، وكذلك مع الإمام الحسين (عليه السلام) في واقعة الطف الدامية ومع زيد في ثورته، وغيرها، بالرغم من شعورهم بالاستنكار لمواقف السلطات الحاكمة. وكان مثل هذا الشعور بالندم والاستنكار أحياناً يغلي في نفوسهم، ويفجر بعض الانتفاضات بوجه السلطات المجرمة، أمثال حركة التوابين ولكن بعد فوات الأوان.

### مرج عذراء :

دفع زياد حجر بن عدي وأصحابه إلى وائل بن حجر الحضرمي، وكثير بن شهاب، وأمرهما أن يسيرا بهم إلى الشام، وبعث زياد إلى معاوية كتاباً أرسله مع الركب ونص الكتاب: (بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله معاوية أمير المؤمنين من زياد بن أبي سفيان. أما بعد فإن الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاء، فكاد له عدوه وكفاه مؤنة من بغى عليه. إن طواغيت من هذه الترابية السبائية رأسهم حجر بن عدي خالفوا أمير المؤمنين وفارقوا جماعة المسلمين ونصبوا لنا الحرب، فإظهارنا الله عليهم وإمكاننا منهم. وقد دعوت خيار أهل مصر وأشرفهم وذوي السن والدين منهم فشهدوا عليهم بما رأوا وعملوا. وقد بعثت بهم إلى أمير المؤمنين وكتبت شهادة صلحاء أهل مصر وخيارهم في أسفل كتابي هذا)، فخرجوا عشية، - ولعل السير بهم ليلاً، وتحت ستار الظلام كان خوفاً من إثارة أهل الكوفة لو ساروا بهم في وضح النهار أمام

(8) شرح نهج البلاغة ج 4 / ص 99.

(9) شرح نهج البلاغة ج 3 / ص 52.

عيون الناس - وقد حذر البعض زياداً ان هناك من يحاول اعتراض الراكب. ففي الطبري: «فاتاه - زياد - قيس بن الوليد فقال انه قد بلغني ان هؤلاء اذا خرج بهم عرض لهم، فبعث زياد الى الكناسة فابتاع إبلاً صعباً فشد عليها المحامل، ثم حملهم عليها في الرحبة اول النهار، حتى اذا كان العشاء قال زياد: فليعرض، فلم يتحرك من الناس احد»، وسار معهم صاحب الشرطة، حتى أخرجهم من الكوفة، فلما انتهوا إلى جبانة عرزم، نظر قبيصة بن ضبيعة العبسي إلى داره، وهي في جبانة عرزم، فاذا بناته مشرفات، فقال لوائل وكثير: انذنا لي فأوصي أهلي، فأذنا له، فلما دنا منهن وهن يبكين، سكت عنهن ساعة، ثم قال: اسكتن، فسكتن، فقال: اتقين الله عزوجل، واصبرن، فإني أرجو من ربي في وجهي هذا إحدى الحسنين، إما الشهادة وهي السعادة، وأما الانصراف اليكن في عافية، وإن الذي رزقكن ويكفيني مؤونتكن هو الله تعالى، وهو حي لا يموت، أرجو أن لا يضيعكن، وان يحفظني فيكن، ثم انصرف فمر بقومه، فجعل القوم يدعون الله له بالعافية.

فساروا حتى انتهوا بهم إلى مرج عذراء عند دمشق، وهم اثنا عشر رجلاً، حجر بن عدي، الارقم بن عبدالله، شريك بن شداد، صيفي بن فسيل، قبيصة بن ضبيعة، كريم بن عفيف، عاصم بن عوف، ورقاء بن سمي، كدام بن حيان، عبدالرحمن بن حسان، محرز بن شهاب، عبدالله بن حويّة، واتبعهم زياد برجلين مع عامر بن الاسود، فتموا اربعة عشر رجلاً، حبسوا بمرج عذراء.

وقد عفا معاوية، بعد الحاح بعض حاشيته الذين لهم تأثير كبير عليه، ولهم علاقة ببعض أصحاب حجر، عن سبعة منهم، فيكون عدد من قتل منهم مع حجر، سبعة أشخاص، ذكرهم الطبري وهم: (حجر بن عدي، شريك بن شداد الحضرمي، صيفي بن فسيل الشيباني، قبيصة بن ضبيعة العبسي، محرز بن شهاب السعدي، كدام بن حيان العنزي. وأما عبدالرحمن بن حسان العنزي فبعث به الى زياد، فدفن حياً بقس الناطف، فهم سبعة قتلوا، وكفنوا وصلي عليهم)<sup>(10)</sup>.

ومرج عذراء كما يقول صاحب الاغانى (تقع على بعد أميال من دمشق). وأما الطبري فيقول: (بينها وبين دمشق اثنا عشر ميلاً).

ولما علم معاوية بوصول ركب العقيدة والولاء إلى مرج عذراء، بعث إلى قائدي الراكب، وهما وائل بن حجر، وكثير بن شهاب، أن يأتيا اليه، وقرأ رسالة زياد، إلا أن معاوية تجاهل أو جهل خطورة الموقف، كما كان يدركها زياد، وخطورة وجود حجر وجماعته، وان حجراً يهدد سلطان معاوية، وربما أدى وجوده إلى ظهور حركة تمرد ضد زياد، تهدد ولايته، وتهدد سلطان معاوية، فاستشار معاوية بعض حاشيته حول الموقف الذي يلزم اتخاذه ضد حجر وجماعته، فأشار عليه البعض بنفيهم إلى بعض قرى الشام، فتردد معاوية في قتلهم، وربما كان سبب التردد ما كان يخشاه من التذمر والاستنكار بين المسلمين، الذي يعقب قتله لحجر وجماعته، فكتب الى زياد رسالة ذكر فيها تردده: (أما بعد فقد فهمت ما اقتصصت

به من امر حجر وأصحابه وشهادة من قبلك عليهم فنظرت في ذلك، فاحيانا أرى قتلهم افضل من تركهم واحيانا ارى العفو عنهم افضل من قتلهم. والسلام). حينئذ اضطر زياد أن يكشف عن وجهه الحقيقي أمام معاوية، وعن السبب الحقيقي في قتلهم، فليس السبب دافعاً دينياً، كما هو مذكور في متن الشهادة، بل سببه الخوف من انهيار سلطته في الكوفة، والعراق، فكتب إليه زياد مع يزيد بن حجية: (أما بعد. فقد قرأت كتابك، وفهمت رأيك في حجر وأصحابه، فعجبت لاشتباه الامر عليك فيهم، وقد شهد عليهم بما قد سمعت من هو أعلم بهم، فإن كانت بك حاجة في هذا المصر فلا تردن حجراً وأصحابه إلي<sup>(11)</sup>).

وهنا انكشف السبب الحقيقي، وهو بقاء العراق تحت سيطرة الحكم الاموي، أو تحت ولاية زياد فاقتل يزيد بن حجية حتى مر بهم بعذراء فقال: (يا هؤلاء اما والله ما أرى براءتكم، ولقد جئت بكتاب فيه الذبح فمروني بما اجبتم مما ترون انه لكم نافع اعمل به لكم وانطق به) فقال حجر: «أبلغ معاوية أنا على بيعتنا لا نستقبلها ولا نقتلها وانه إنما شهد علينا الاعداء والاظناء» ولما أخبروا معاوية بما قاله حجر، أجاب: «زياد أصدق عندنا من حجر».

قال ابن الاثير: «فوصل إليهم، وهم بمرج عذراء، الرجلان اللذان الحقهما زياد بحجر وأصحابه، وهما عتبة بن الاخنس السعدي، وسعيد أو سعد بن نمران الهمداني الناعطي، فلما وصلا سار عامر بن الاسود العجلي من عذراء الى معاوية ليعلمه بهما. فقام اليه حجر بن عدي يرسف في القيود، فقال: «يا عامر، اسمع مني، أبلغ معاوية ان دماءنا عليه حرام، واخبره انا قد أومئنا وصالحناه وصالحنا، وانا لم نقتل احداً من اهل القبلة فتحل له دماؤنا، فليتنق الله، ولينظر في امرنا»<sup>(12)</sup>.

ولعله اشار بالامان الى اعطاء زياد الامان لهم، وأراد من الصلح صلح الامام الحسن(عليه السلام) وبنوده، ومنها عدم مطاردته لشيعة الامام(عليه السلام).

وفي الاصابة: «من طريق ابي اسحاق، قال: رأيت حجر بن عدي وهو يقول: إلا اني على بيعتي لا اقبلها واستقبلها»<sup>(13)</sup> وفي المستدرک: «فلما قدم - حجر - عليه - معاوية - قال: السلام عليك يا امير المؤمنين. قال: وامير المؤمنين انا اني لا اقبلك ولا استقبلك. فامر بقتله، فلما انطلقوا به طلب منهم ان يأذنوا له فيصلي ركعتين، فاذنوا له فصلى ركعتين ثم قال: لا تطلقوني عني حديداً ولا تغسلوا عني دماً وادفوني في ثيابي فاني مخاصم، فقتل»<sup>(14)</sup>.

وعدد الذين استشهدوا مع حجر ستة:

1 - حجر بن عدي.

2 - شريك بن شداد الحضرمي.

(11) الطبري ج 4 / ص 203.

(12) الكامل ج 3 / ص 484.

(13) الاصابة ج 1 / ص 315.

(14) المستدرک ج 3 / ص 470.

3 - قبيصة بن ضبيعة العبسي.

4 - صيفي بن فسيل الشيباني.

5 - محرز بن شهاب السعدي.

6 - كدام بن حيان العنزي.

واما عبد الرحمن بن حسان العنزي، فانه ارسل لزياد ودفنه حياً، وهو اول من دفن حياً في الاسلام. ويذكر الطبري: انه بعد ان سير حجر الى معاوية، اجتمعت كندة وغيرها عند مالك بن هبيرة، وتشاوروا فيما بينهم، وصمموا على انقاذ حجر، ولذلك ساروا إلى الشام من اجل ذلك، ولكن عندما وصلوا إلى مرج عذراء فاستقبلهم بعض من جاء منها فاخبروهم ان القوم قد قتلوا، وحين اخبروا معاوية بمسير مالك بن هبيرة ومن معه من الناس قال (اسكنوا فانما هي حرارة يجدها في نفسه وكانها قد طفئت). وارسل الى مالك ان ياتي إليه، فابى، فبعث إليه بمائة الف درهم، واسترضاه<sup>(15)</sup>، وهكذا كان دهاء معاوية واساليبه، ومواقف بعض الناس.

#### مواقف بطولية في مرج عذراء:

لقد ظهرت منهم في مرج عذراء مواقف بطولية، سجلها التاريخ، وتحدث بها الرواة والناس. وهذه المواقف تتلاءم وعقيدتهم الثابتة وولائهم، وعدالة قضيته وما يتمتعون به من خصال الفتوة والشجاعة. يقول الطبري: «حينما قدموا الى مرج عذراء، قال لهم رسول معاوية: انا قد أمرنا ان نعرض عليكم البراءة من علي واللعن له، فإن فعلتم تركناكم، وإن أبيتم قتلناكم، فابروا من هذا الرجل نخل سبيلكم، قالوا: اللهم إنا لسنا فاعلي ذلك»<sup>(16)</sup>.

ولعل معاوية وجلالته طلبوا من حجر واصحابه البراءة من أمير المؤمنين(عليه السلام) لا مجرد السب واللعن، وهذا مما لا يجوز للمؤمن ارتكابه كما ذكر ذلك في رواية عن حجر. حيث روى في رجال الكشي باسناده عن حجر بن عدي قال: «قال علي كيف تصنع انت إذا ضربت وامرت بلعني؟ قال: قلت له: كيف اصنع؟ قال: العني ولا تبرأ مني؛ فاني على دين الله» وبهذا المضمون روايات عديدة سنذكرها في فصل آخر.

وفي مروج الذهب، يذكر القصة بعبارة أخرى مشابهة لها: «فلما وصل إليهم - رسول معاوية - قال لحجر: إن أمير المؤمنين قد أمرني بقتلك يا رأس الضلال، ومعدن الكفر والطغيان، والمتولي لأبي تراب، وقتل أصحابك، إلا أن ترجعوا عن كفركم وتلعنوا صاحبكم، وتتنبرأوا منه، فقال حجر وجماعته ممن كان

(15) الطبري ج4، ص207.

(16) الطبري ج 4 / ص 205، الكامل ج 3 / ص 486.

معه: إن الصبر على حد السيف لأيسر علينا مما تدعوننا إليه، ثم المقدم على الله، وعلى نبيه وعلى وصيه، أحب إلينا من دخول النار»<sup>(17)</sup>.

والملاحظ في ذلك أن القتلة لم يشيروا إلى ما ذكر في نص الشهادة من نقضه لبيعة معاوية، وإنما كانوا يؤكدون على ولائه للامام (عليه السلام)، وكانوا يطلبون منه البراءة من امامه خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولكنه ابى ذلك.

وقام حجر وأصحابه يصلون عامة الليل، فلما كان الغد قدموهم ليقتلوهم، فقال لهم حجر بن عدي: «اتركوني اتوضأ وأصلي، فاني ما توضأت إلا صليت، فتركوه فصلى، ثم انصرف منها، وقال: والله ما صليت صلاة قط أخف منها، ولولا أن في جزعاً من الموت لاستكثرت منها، ثم قال: اللهم إنا نستعديك على امتنا، فإن اهل الكوفة شهدوا علينا، وإن اهل الشام يقتلوننا أما والله لئن قتلتموني بها، فإني لأول فارس من المسلمين هلك في واديها، وأول رجل من المسلمين نبخته كلابها»<sup>(18)</sup>. وقال حجر: «لا تنزعوا عني حديداً ولا تغسلوا عني دماً؛ فاني لاق معاوية على الجادة».

وقيل: إن حجراً لما قدم ليقتل، قيل له: مد عنقك، فقال: «ما كنت لأعين الظالمين»<sup>(19)</sup>.

وفي الإصابة: «وروى ابراهيم بن الجنيد في كتاب الاولياء بسند منقطع ان حجر بن عدي اصابته جنابة، فقال للموكل به: اعطني شرابي اتطهر به، ولا تعطني غدا شيئاً، فقال: اخاف ان تموت عطشا فيقتلني معاوية. قال: فدعا الله فانسكبت له سحابة بالماء، فاخذ منها الذي احتاج اليه، فقال له اصحابه: ادع الله ان يخلصنا، فقال: اللهم خر لنا، قال: فقتل هو وطائفته...»<sup>(20)</sup>.

وقال المرزباني: «ثم مشى اليه - حجر - هديه الاور بالسيف فشخص اليه حجر، فقال: الم تقل انك لا تجزع من الموت؟ فقال: ارى كفناً منشوراً وقبراً محفوراً، وسيفاً منشوراً، فمالي لا اجزع؟ اما والله لئن جزعت لا اقول ما يسخط الرب، فقال له: فابراً من علي، وقد اعد لك معاوية جميع ما تريد ان فعلت، فقال: الم اقل لك: اني لا اقول ما يسخط الرب، ثم قال: ان كنت امرت بقتل ولدي فقدمه، فقدمه فضربت عنقه، فقيل له: تعجلت الثكل، فقال: خفت أن يرى ولدي هول السيف على عنقي فيرجع عن ولاية أمير المؤمنين علي (عليه السلام). ولم يذكر قتل ولده غير المرزباني»<sup>(21)</sup>.

فقد ذكر السيد الامين انه «لم يذكر قتل ولده معه في مرج عذراء غير المرزباني، ولكنه بعد ذلك يقول «وقال الشهيد: كان اسم ابن حجر الذي قتل معه همام، وفي الدرجات الرفيعة، قال شيخنا الشيخ محمد بن مكي المعروف بالشهيد الاول قدس الله روحه: الشهداء الذين بعذراء دمشق الذين قتلهم معاوية، بعد أن

(17) مروج الذهب ج 2 / ص 4.

(18) تاريخ الطبري ج 4 / ص 305.

(19) المجالس السنية ج 2 / ص 88 ، اعيان الشيعة ج 4 / ص 581 نقلاً عن المرزباني.

(20) الإصابة ج 1 / ص 315.

(21) أعيان الشيعة ج 4 / ص 581.

بايعوه وأعطاهم العهود والمواثيق، حجر بن عدي الكندي حامل راية رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وولده همام..»<sup>(22)</sup>.

ومن أبطال مرج عذراء، عبدالرحمن بن حسان. قالوا له: «يا اخا ربعة ما تقول في علي؟ قال: دعني ولا تسألني، فهو خير لك، قال: والله لا ادعك. قال: اشهد انه كان من الذاكرين لله تعالى كثيراً، من الأمرين بالحق، والقائمين بالقسط، والعافين عن الناس. قال: فما قولك في عثمان؟ قال: هو أول من فتح أبواب الظلم، وأغلق ابواب الحق قال: قتلت نفسك قال: بل إياك قتلت، ولا ربعة بالوادي - يعني ليشفعا فيه - . فرده معاوية الى زياد وأمره ان يقتله شر قتلة، فدفنه حياً»<sup>(23)</sup>.

وقد ذكر في مروج الذهب وغيره عن حجر: «وهو أول من قتل صبراً في الاسلام»<sup>(24)</sup>.  
«وقال عبدالرحمن بن حسان العنزي: اللهم اجعلني ممن تكرم بهوانهم وانت عني راض، فطالما عرضت نفسي للقتل فابى الله الا ما اراد»<sup>(25)</sup>.

### استنكار المجزرة:

حدثت بعد مقتل حجر وجماعته رجة بين المسلمين، حيث أثارت هذه الجريمة الوحشية، استنكاراً شديداً عند الكثير من الصحابة والتابعين، والافراد الذين يعرفون منزلة حجر وأهدافه. ومن الذين استنكروا هذه المجزرة، معاوية نفسه، فقد ذكر الطبري: «زعموا أنه - معاوية - قال عند موته: يوم لي من ابن الادبر طويل، ثلاث مرات، يعني حجراً»<sup>(26)</sup>، وهناك أقوال أخرى تنقل عن معاوية، تؤكد ندمه على فعلته الشنعاء هذه<sup>(27)</sup>، ولعله أراد أن يخفف حدة الغضب الجماهيري، الذي التهب بعد اقترافه هذه الجريمة، باعلان توبته وندمه ظاهراً. والتذمر والاستنكار الذي أعلنه الكثير من الشخصيات الذائعة الصيت آنذاك، أدى بدوره الى تذمر واستنكار عامين، بين المسلمين، فينقل الطبري عن ابن ابي اسحاق أنه قال: «أدركت الناس وهم يقولون: إن أول ذل دخل الكوفة، موت الحسن بن علي، وقتل حجر بن عدي، ودعوة زياد»<sup>(28)</sup>. ولعل هذا التعبير يدل على انه قد وجدت آنذاك بين المسلمين حالة من الشعور بالندم والاستنكار لهذه المجزرة.

(22) نفس المصدر / ص 582 ، الدرجات الرفيعة / ص 428.

(23) تاريخ الطبري ج 4 / ص 206.

(24) مروج الذهب ج 3 / ص 2.

(25) تاريخ الطبري ج 4 / ص 205.

(26) الطبري ج 4 / ص 208، الاستيعاب ج 1 / ص 357، الدرجات الرفيعة 29.

(27) أعيان الشبهة ج 4 / ص 583.

(28) الطبري ج 4 / 208 ، الكامل ج 2 / .

والملاحظ ان الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) كان اول من استنكر قتل حجر و اصحابه، كما سيأتي في حديث عائشة عنه(صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذا الحديث النبوي، يشبه الرواية المنقولة عن الامام امير المؤمنين(عليه السلام)، في دلالة الاخبار عن المغيبات، وان حجراً وجماعته على حق، وقتلته على باطل، واستنكار قتلهم.

كما ان استنكار الآخرين من الصحابة والتابعين وغيرهم يحمل نفس هذه الدلالات. واستنكر الامام امير المؤمنين(عليه السلام) قتل حجر واصحابه في الرواية التي نقلناها سابقاً، حينما دخل حجر عليه بعد ضربة ابن ملجم له(عليه السلام)، وهناك رواية اخرى رواها ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن عبد الله بن زريق الغافقي قال: «سمعت علياً(عليه السلام)يقول: يا اهل العراق سيقتل سبعة نفر بعذراء مثلهم كمثّل اصحاب الاخدود، منهم حجر بن الادبر واصحابه، يقتلهم معاوية بالعذراء من دمشق، كلهم من أهل الكوفة»<sup>(29)</sup>.

ويشير(عليه السلام) في قوله: «مثلهم كمثّل اصحاب الاخدود» للآية الشريفة (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد)<sup>(30)</sup>.

واستنكر الامام الحسين(عليه السلام) على معاوية قتله حجراً وأصحابه، وجاء هذا الاستنكار في إحدى الرسائل التي كتبها الامام(عليه السلام) إلى معاوية، قال فيها: «ألسنت قاتل حجر وأصحابه العابدين المختبتين، الذين كانوا يستقطعون البدع، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فقتلتهم ظلماً وعدواناً، من بعد ما أعطيتهم الموائيق الغليظة والعهود المؤكدة، جرأة على الله واستخفافاً بعهده»<sup>(31)</sup>، وهذه الرسالة طويلة يذكر فيها الامام(عليه السلام) جرائم معاوية وانحرافات<sup>(32)</sup>.

ويشير بالعهود والموائيق الى البند الذي ذكر في بنود الصلح مع الامام الحسن(عليه السلام)، من أن الناس جميعاً آمنون حيث كانوا من أرض الله تعالى، وكذلك يشير إلى إعطاء الامان لهم حين القبض عليهم.

وفي كشف الغمة: «لما قتل معاوية حجر بن عدي رحمه الله وأصحابه، لقي في ذلك العام الامام الحسين(عليه السلام) فقال: يا أبا عبدالله هل بلغك ما صنعت بحجر و أصحابه من شيعة أبيك؟ قال: لا. قال: إنا قتلناهم وكفناهم وصلينا عليهم، فتبسم الحسين(عليه السلام) ثم قال: خصمك القوم يوم القيامة يا معاوية، أما والله لو ولينا مثلها من شيعتك ما كفناهم، ولا صلينا عليهم، وقد بلغني وقوعك بأبي حسن وقيامك به، واعتراضك بني هاشم بالعيوب، وايم الله، لقد أوترت غير قوسك، ورميت غير غرضك، وتناولتها

(29) كنز العمال ج 13 / ص ؟؟؟؟ ، اعلام الورى ص 33.

(30) سورة البروج / الآية 8 .

(31) الغدير ج 1 / ص 161 ، نقلاً عن الامامة والسياسة وجمهرة الرسائل، وفي الدرجات الرفيعة / ص 430. مع بعض الاختلاف في الالفاظ.

(32) الدرجات الرفيعة / ص 434.

بالعداوة من مكان قريب، ولقد اطعت امرأ ما قدم ايمانه، ولا حدث نفاقه وما نظر لك فانظر لنفسك أودع (يريد عمرو بن العاص) «<sup>(33)</sup>.

وكذلك استنكرت عائشة قتله، ففي الاستيعاب: «وروينا عن سعيد المقبري قال: لما حج معاوية جاء المدينة زائراً، فاستاذن على عائشة فاذنت له، فلما قعد قالت له: يا معاوية أما خشيت الله في قتل حجر وأصحابه؟ قال: إنما قتلهم من شهد عليهم»<sup>(34)</sup>.

وفي الاصابة: «دخل معاوية على عائشة، فعاتبته في قتل حجر وأصحابه، وقالت: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: (يقتل بعدي أناس يغضب الله لهم وأهل السماء) وفي بعض المصادر: ذكر (سيقتل بعذراء ناس..)»<sup>(35)</sup>، كما في تاريخ دمشق.

وفي اعلام الورى (دخل معاوية على عائشة فقالت: ما حملك على قتل اهل عذراء، حجر واصحابه؟ فقال: يا أم المؤمنين اني رأيت قتلهم صلاحاً للامة وبقاءهم فساداً للامة، فقالت: سمعت رسول الله يقول: سيقتل بعذراء أناس يغضب الله لهم وأهل السماء)<sup>(36)</sup>.

وفي أسد الغابة: «قال نافع: كان ابن عمر في السوق، فنعى إليه حجر، فأطلق حبوته، وقام، وقد غلبه النحيب»<sup>(37)</sup>.

«وسئل محمد بن سيرين عن الركعتين عند القتل، فقال: صلاهما خبيب وحجر، وهما فاضلان»<sup>(38)</sup>. وقال الحسن البصري: (أربع خصال كن في معاوية، لو لم يكن فيه منهن إلا واحدة، لكانت موبقة، انتزأه على هذه الامة بالسفهاء، حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة، وذوو الفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سكيراً خميراً، يلبس الحرير، ويضرب بالطنابير، وادعأؤه زياداً وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «الولد للفراس وللعاهر الحجر»، وقتله حجراً، ويلا له من حجر وأصحاب حجر)، مرتين»<sup>(39)</sup>.

وفي اسد الغابة: «وكان الحسن البصري يعظم قتل حجر وأصحابه»<sup>(40)</sup>. وفي الاستيعاب: «قال مبارك بن فضالة، سمعت الحسن البصري يقول. وقد ذكر معاوية وقتله حجراً وأصحابه: ويل لمن قتل حجراً وأصحاب حجر»<sup>(41)</sup>.

---

(33) كشف الغمة ج 2 / ص 240.

(34) الاستيعاب ج 1 / ص 356.

(35) الاصابة ج 1 / ص 315 ، البحار ج 18 / ص 124 ، الدرجات الرفيعة / ص 49.

(36) اعلام الورى ص 43.

(37) اسد الغابة ج 1 / ص 386.

(38) الاستيعاب ج 1 / ص 357.

(39) تاريخ الطبري ج 4 / ص 208 ، الكامل ج 3 / ص 487 ، الاستيعاب ج 1 / ص 359.

(40) اسد الغابة ج 1 / ص 386.

(41) الاستيعاب ج 1 / ص 358.

قال الاعمش: «أول من قتل في الاسلام صبراً حجر بن عدي، وأول رأس أهدي من بلد إلى بلد رأس عمرو بن الحمق»<sup>(42)</sup>.

وذكر الكامل في حوادث سنة ثلاث وخمسين: «وفيها مات الربيع بن زياد الحارثي، عامل خراسان من قبل زياد، وكان سبب موته أنه سخط قتل حجر بن عدي، حتى أنه قال: لا تزال العرب تقتل صبراً بعده، ولو نفرت عند قتله، لم يقتل رجل منهم صبراً، ولكنها أقرت فذلت»<sup>(43)</sup>.  
وقيل لابي اسحاق السبيعي: «متى ذل الناس؟ فقال: حتى مات الحسن، وأدعي زياد، وقتل حجر بن عدي»<sup>(44)</sup>.

وروى الشيخ الطوسي في أماليه باسناده عن الحسن البصري، قال: «كنت غازياً من معاوية بخراسان، وكان علينا رجل من التابعين، فصلّى بنا يوماً الظهر، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس قد حدث في الاسلام حدث عظيم، لم يكن منذ قبض الله نبيه مثله. بلغني أن معاوية قتل حجر بن عدي وأصحابه، فإن يك عند المسلمين خير قبيل، ذلك وإن لم يكن عندهم خير فأسال الله يقبضني إليه، وأن يجعل ذلك».

قال الحسن: «فلا والله ما صلى بنا صلاة غيرها حتى سمعنا عليه الصياح»<sup>(45)</sup> ولعل هذا الرجل الذي مات تألماً واستنكاراً لمقتل حجر وأصحابه هو الربيع بن زياد الحارثي لتشابه قصة وفاته في المصادر<sup>(46)</sup>.

وكانت شهادة حجر وأصحابه، من الشعارات التي رفعها أبطال كربلاء، ففي الكامل انه حين خرج زهير بن القين، خاطب أهل الكوفة، وكان مما قال: «.. إنا ندعوكم إلى نصره - الامام الحسين (عليه السلام) - وخذلان الطاغية ابن الطاغية عبيد الله بن زياد، فانكم لا تدركون منهما إلا سوءاً، يسملان أعينكم، ويقطعان أيديكم وأرجلكم، ويمثلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النخل، ويقتلان اماتلكم وقراءكم، أمثال حجر بن عدي وأصحابه وهانئ بن عروة واشباهه»<sup>(47)</sup>.  
حيث استعرض الجرائم البشعة التي ارتكبها زياد وابنه عبيد الله، في حق القراء والاخيار.

### المبررات الشرعية للصمود والتضحية:

(42) الدرجات الرفيعة / ص 429.

(43) الكامل ج 3 / ص 493.

(44) مقاتل الطالبين / ص 50 ، وشرح نهج البلاغة ج 16 / ص 51.

(45) الدرجات الرفيعة ص 430.

(46) قاموس الرجال 4 / 343.

(47) الكامل في التاريخ ج 4 / ص 63.

ربما يتساءل البعض ان الشيعة تجيز التقية، فلماذا لم يستخدم حجر و أصحابه التقية، حفاظاً على حياتهم، ولماذا صمدوا في موقفهم المعارض الى حد التضحية بأرواحهم؟ واننا وان كنا لانجرو على تحديد رايهم وموقفهم، لانهم اعرف منا واكثر علماً بالحكم الشرعي والواقع الموضوعي، ولكننا نطرح بعض الآراء التي ربما سلطت الضوء على شرعية الصمود والتضحية في بعض المواقف ودوافعها وآثارها، ولعل البعض منها تجسد في موقف حجر وامثاله من الموالين والمؤمنين الحقيقيين عبر التاريخ الطويل. وذلك خلال ذكر اربعة مبررات:

**1 -** قسمت التقية الى تقية واجبة، وتقية محرمة، وتقية جائزة. ومثل السيد الخوئي في التنقيح للتقية المحرمة بموردين احدهما: كما إذا اجبره الجائر بقتل النفس المحترمة فانه لا يجوز له ان يقتلها تقية، لما دل على ان التقية انما شرعت لحقن الدماء فإذا بلغت التقية الدم فلا تقية، فإذا مثلها تقية ارتكب محرماً ذاتياً لا محالة.

والثاني: كما إذا كانت المفسدة على فعل التقية اشد واعظم من المفسدة المترتبة على تركها، أو كانت المصلحة في ترك التقية اعظم من المصلحة المترتبة على فعلها، كما إذا علم بانه ان عمل بالتقية ترتب عليه اضمحلال الحق واندراس الدين الحنيف وظهور الباطل وترويج الجبت والطاغوت، وإذا ترك التقية ترتب عليه قتله فقط أو قتله مع جماعة آخرين، ولا اشكال حينئذ في ان الواجب ترك العمل بالتقية وتوطيئ النفس للقتل، لان المفسدة الناشئة عن التقية اعظم واشد من مفسدة قتله، نعم ربما تكون المفسدة في قتله اعظم واكثر كما إذا كان العامل بالتقية ممن يترتب على حياته ترويج الحق بعد الاندراس، وانجاء المؤمنين من المحن بعد الابتلاء ونحو ذلك، ولكنه امر آخر والتقية بما هي تقية متصفة بالحرمة في تلك الصورة كما عرفت، ولعله من هنا اقدم الحسين سلام الله وصلواته عليه واصحابه رضوان الله عليهم لقتال يزيد بن معاوية وعرضوا انفسهم للشهادة وتركوا التقية عن يزيد، وكذا بعض اصحاب امير المؤمنين(عليه السلام) بل بعض علمائنا الابرار قدس الله ارواحهم وجزاهم عن الاسلام خيراً كالشهيدين وغيرهما<sup>(48)</sup>.

وسنذكر في المبرر الثالث للتضحية بما له علاقة بهذا القسم من التقية.

ومن موارد (جواز) التقية، ما لو فرض على المؤمن سب الامام(عليه السلام) فهناك بعض الروايات عن ائمتنا تجيز التقية، والسب. ولكنها لا توجبه وتلزمه، فيجوز للمؤمن السب تقية، كما يجوز له عدم السب وأن يبقى صامداً، وإن تعرض للتعذيب والشهادة، وربما كان أعلى درجة ومقاماً من الاول، لان خير الامور أحمرها واشققها.

ونذكر هنا بعض هذه الروايات:

---

(48) التنقيح في شرح العروة الوثقى، ج4 ص357، كتاب الطهارة.

(عن عبد الله بن عطا قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام): رجلان من أهل الكوفة أخذوا فقيل لهما: ابرأ من أمير المؤمنين (عليه السلام)، فبرئ واحد منهما، وأبى الآخر، فخلّي سبيل الذي برئ وقتل الآخر، فقال: «أما الذي برئ فرجل فقيه في دينه، وأما الذي لم يبرأ فرجل تعجل إلى الجنة» (49).

إذن، فكلا الرجلين عمل عملاً مشروعاً يثاب عليه، والمراد من البراءة هنا، هي البراءة باللسان فحسب، لا في الاعتقاد القلبي كما هو واضح، فالمراد من البراءة في هذه الرواية أن تشمل السب باللسان أيضاً دون أن تسري إلى القلب، إضافة إلى أن الاعتقاد القلبي لا يقبل الاكراه.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ستدعون إلى سبي فسبونني، وتدعون إلى البراءة مني فمدوا الرقاب، فإني على الفطرة» (50).

ولعل المراد من البراءة هنا هي البراءة في الاعتقاد القلبي، بأن يتبرأ الانسان اعتقاداً عن الولاء للإمام (عليه السلام)، وهذا يعني الخروج عن الاسلام. وأما السب فهو ما كان باللسان فحسب، وهذا ما أجازته الامام (عليه السلام)، وأما البراءة الاعتقادية القلبية فلم يجزها، لأنها تعني الخروج عن الاسلام. ومن هذه الروايات، ما رواه الكشي بإسناده عن حجر بن عدي قال: «قال علي (عليه السلام): كيف تصنع انت إذا ضربت وامرت بلعني، قال: قلت له: كيف اصنع؟ قال: العني ولا تبرأ مني فأني على دين الله» (51).

وقد وردت بهذا المعنى عدة روايات، تفرق بين السب واللعن فيجوز، والبراءة فلا تجوز، وقد ذكر العلماء بعض الآراء في الفرق بين البراءة والسب واللعن، تعرض لها الشيخ المجلسي في مرآة العقول منها (... واقول: الجمع بين تلك الروايات في غاية الاشكال، ويمكن الجمع بينها بحمل البراءة المنهي عنها على البراءة القلبية، والمجوزة على اللفظية) (52).

وبهذا الجمع أيضاً يجمع بين الروايات التي تدل على جواز البراءة فتحمل على البراءة اللفظية، والروايات التي تدل على عدم جواز البراءة حيث تحمل على البراءة القلبية، وهناك آراء أخرى في الجمع بين هذه الروايات ذكرتها بعض الكتب ومنها مرآة العقول.

وفي هامش البحار (ولا يخفى انه لا يستفاد من الرواية جواز التبرؤ مطلقاً عند التقية، فإن التبرؤ اعم من القلب واللسان، والتبرؤ بالقلب لا يجوز، بل ولا يجبر الانسان بالامر القلبي اصلاً، واما التبرؤ باللسان دون القلب فعند التقية يجوز، وبما ذكرنا يجمع بين روايات الباب النازرة الى جواز السب والتبرؤ وعدم جوازهما) (53).

(49) وسائل الشيعة 11 / ص 476 طبعة دار احياء التراث الاسلامي بيروت - لبنان.

(50) وسائل الشيعة 11 / ص 476.

(51) رجال الكشي ص 94.

(52) مرآة العقول ج 9 ص 186.

(53) البحار ج 39 ص 317.

وفي التنقيح، يذكر، من موارد جواز التقية، ما إذا اكره على التبرؤ من أمير المؤمنين(عليه السلام)، فقد ورد في عدة من الاخبار من الامر بمد الاعناق والنهي عن التبرؤ منه، ثم يذكر الروايات، التي ذكرنا بعضها في هذا المجال، ويناقش بعض الروايات التي يستفاد منها وجوب التقية أو ترجيحها في هذا المجال، واخيراً يقول (وعليه فالأخبار انما تدلنا على الجواز في كل من التقية باظهار التبرؤ منه(عليه السلام) باللسان وتركها باختيار القتل ومد الاعناق)<sup>(54)</sup>.

ويذكر: ان بعض الروايات يستفاد منها وجوب ترك التقية، واختيار القتل، ولكن يناقشها ان الامر فيها باختيار القتل، في مقام توهم الحضر، فلا تدل على الوجوب<sup>(55)</sup>.

ثم يذكر رواية ربما استفاد منها البعض وجوب التقية أو ارجحيتها ولكن يناقش هذا التفسير، بما يلقي الضوء على هذا الموضوع:

والرواية هي (ما رواه محمد بن مروان قال: قال لي أبو عبد الله(عليه السلام) ما منع ميثم(رحمه الله) من التقية، فوالله لقد علم ان هذه الآية نزلت في عمار واصحابه: إلا من اكره وقلبه مطمئن بالإيمان). وذكر في تفسير الرواية (لابد من قراءة كلمة منع) مجهولة ومبنية للمفعول، هكذا (ما منع ميثم) أي لم تكن التقية ممنوعة وغير سائغة في حقه، بل كانت مرخصة بالنسبة إليه، وهو أيضاً كان عالمًا بجوازها ومع ذلك اختار القتل باختياره، إذاً فلا يستفاد منها توبيخ ميثم على عمله، بل معناها احد امرين: احدهما: ان تكون هذه الجملة (ما منع ميثم) دفعاً للاعتراض على ميثم بانه لماذا اختار القتل ولم يتق وهل كان ممنوعاً من التقية، فاجاب(عليه السلام) عن ذلك بانه ما كان ممنوعاً عن التقية، وانما اختار القتل لتساوي التقية وتركها في الرجحان عند الله سبحانه، وحينئذ لا يستفاد منها مدح ميثم ولا قدحه. وثانيهما: ان تكون الجملة دالة على مدح ميثم وانه مع علمه بالحال وان التقية جائزة في حقه قد اختار القتل لعدم طيب نفسه بالتبرؤ من سيده ومولاه ولو بحسب الظاهر واللسان لقوة ايمانه وشدة حبه وعلاقته بمولاه(عليه السلام). إذن تكون الرواية دالة على مدحه رضوان الله عليه. وعلى كل لا يستفاد منها ارجحية التقية عن القتل.

ويحتمل ان يكون الوجه في اختيار ميثم القتل على التقية هو علمه بانتفاء موضوع التقية في حقه لانه كان يقتل على كل حال لمعرفيته بالولاء واشتهاره بالتنشيع والاخلاص لأمير المؤمنين صلوات الله عليه. وعلى الجملة: فالرواية اما ان تدلنا على ارجحية القتل من التقية، واما ان تدل على تساوي التعرض للقتل والتقية، واما ان التقية بالتبري منه(عليه السلام) ارجح من التعرض للقتل فلا يكاد يستفاد من الرواية بوجه فالحكم بارجحية التقية من القتل في نهاية الاشكال<sup>(56)</sup>.

(54) التنقيح ج 4 ص 262.

(55) المصدر السابق.

(56) التنقيح ج 4 ص 365.

ولعل ما يدل على سمو الصابر عن السب والبراءة، ومواجهة القتل في هذا السبيل ما روي عن ميثم قال: «دعاني أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) وقال: كيف أنت يا ميثم إذا دعاك دعي بني أمية عبيد الله بن زياد إلى البراءة مني؟ فقلت: يا أمير المؤمنين أنا والله لا أبرأ منك؟ إذاً والله يقتلك ويصلبك، قلت: اصبر فذاك في الله قليل فقال: يا ميثم إذاً تكون معي في درجتي». وقد ذكرنا أن البراءة تستعمل أيضاً في السب والبراءة اللسانية فحسب، ولعل المراد من البراءة في حديث ميثم هو هذا المعنى.

وربما يجوز للمسلم ان يظهر كلمة الكفر بلسانه، ولكنه يسر الايمان في قلبه، كما انه في مثل هذا الموقف يجوز له الصبر والصمود، فلا يظهر الكفر على لسانه، وان قتل في هذا السبيل، كما ورد مثل ذلك في قضية عمار بن ياسر وأبويه، فإن عماراً اظهر الكفر على لسانه فحسب، وكان عمله مشروعاً، حيث نزلت فيه الآية الشريفة: (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان)<sup>(57)</sup>، وهذه الآية الشريفة من أدلة الشيعة على قولهم بمشروعية التقية إسلامياً، وأما ياسر وسمية فقد صبرا وصمداً، فقتلا في سبيل الله، وعجل بهما الى الجنة، وعن الامام الصادق (عليه السلام): أنه ذكر أصحاب الكهف فقال: «لو كلفكم قومكم ما كلفهم قومهم، فقليل له: وما كلفهم قومهم؟ فقال: كلفوهم الشرك بالله العظيم، فاطهروا لهم الشرك وأسروا الايمان حتى جاءهم الفرج»<sup>(58)</sup>.

وفي الدر المنثور للسيوطي: «أخرج عبد الرزاق وابن سعد وابن جرير وابن ابي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه، والبيهقي في الدلائل من طريق أبي عبيدة بن محمد بن عمار عن ابيه، قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وذكر آلهتهم بخير، ثم تركوه، فلما أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ما وراءك شيء؟ قال: شر، ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير، قال: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئن بالايمان، قال: إن عادوا فعد، فنزلت: (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان)»<sup>(59)</sup>.

إن، ففي مثل هذه الحالات، والمواقف، التي يكره فيها المسلم على السب أو اللعن أو البراءة في اللسان فحسب، يكون مخيراً بين الفعل تقية والترك وتحمل التعذيب وحتى القتل والشهادة، ولعل الترك والصبر على البلاء أولى، لأن خير الامور أحمرها، وخاصة فيما لو كان في صبره وتحمله إعزاز للدين، ونشر لشريعة سيد المرسلين، ويتأكد هذا الموقف من رؤساء الدين، حيث يكون إظهار الكفر، أو اللعن والسب منهم، مما له تأثيره السيئ على الآخرين، فالاولى لهم الصبر وتحمل التعذيب أو القتل في هذا السبيل. ولكن يجوز لهم الاستجابة لساناً وظاهراً لارادة الاعداء.

(57) النحل / آية 106.

(58) وسائل الشيعة 11 / ص 480.

(59) الدر المنثور ج 4 / ص 132.

ذكر في مرآة العقول نقلاً عن بعض العلماء: «فاما اظهار كلمة الكفر وانكار الايمان او انكار كلمته مع الخوف على النفس، مع الامساك عن الاول، واظهار الثانية، فيختلف الحال فيه، فان كان مظهر الايمان والحجة به ومنكر الكفر والممتنع من اظهار شعاره في رتبة من يكون ذلك منه اعزاً للدين كرؤساء المسلمين في العلم والدين والعبادة وتنفيذ الاحكام، فالاولى به اظهار الايمان والامتناع من كلمة الكفر، فان قتل فهو شهيد، ويجوز له ما اكره عليه، وان كان من اطراف الناس وممن لا يؤثر فعله ما اكره عليه واجتنابه غضاضة في الدين ففرضه مادعي اليه فليور في كلامه ما يخرج به عن الكذب، والا يحل له ما جاز لمن ذكرناه من رؤساء الملة على حال»<sup>(60)</sup>.

ولكن الظاهر. وكما يبدو من اقوال بعض العلماء، ومن بعض الروايات جواز عدم التقية ايضاً لغير الرؤساء، وكذلك يظهر منها ايضاً جواز التقية ودفع الضرر والقتل للرؤساء ايضاً، وان اختلفا في الدرجة، ولكنهما لا يختلفان في الجواز، بل كانت الظروف الموضوعية التي يشخصها الرؤساء الكبار، لانهم اعرف من غيرهم بها، وبرأي الشريعة فيها، تفرض عليهم استخدام التقية فيها بما لا يجوز فيه لغيرهم. ربما رأوا بان الظروف الموضوعية، ورأي الشريعة تفرض عليهم عدم التقية، وعلى كل حال، فالعلماء الابرار هم اعرف من غيرهم بالموضوع وبالحكم الشرعي. ويلخص الشهيد الاول اقسام التقية بحسب الاحكام الخمسة بقوله: «التقية تنقسم بانقسام الاحكام الخمسة، فالواجب إذا علم أو ظن نزول الضرر بتركها به أو ببعض المؤمنين والمستحب إذا كان لا يخاف ضرراً عاجلاً أو يخاف ضرراً سهلاً أو كان تقية في المستحب كالترتيب في تسبيح الزهراء (عليها السلام) وترك بعض فصول الأذان، والمكروه التقية في المستحب حيث لا ضرر عاجلاً ولا آجلاً ويخاف منه الالتباس على عوام المذهب، والحرام التقية حيث يؤمن الضرر عاجلاً وآجلاً أو في قتل مسلم، والمباح التقية في بعض المباحات التي ترجحها العامة ولا يصل بتركها ضرر»<sup>(61)</sup>، وما ذكره كان امثلة لهذه الاقسام. وهناك امثلة اخرى لها كما ذكرنا بعضها هنا.

ولعل الموقف الذي تعرض له حجر كان من هذه المواقف التي يجوز فيها التقية، والسب، كما يجوز له الصبر، وعدم الاستجابة لارادة الاعداء، ولكن بما أن موقفه كان فيه إعزاز للدين، ووقوف بوجه الانحراف الأموي، والجاهلية التي تحاول العودة مرة أخرى إلى المسلمين، وبما أنه كان من رؤساء المسلمين والشيعة وزعمائهم، كان الاولى به الصمود والصبر، وإن قتل في هذا السبيل. أو ان موقف حجر كان من موارد عدم جواز التقية، وذلك لان اعداءه طلبوا منه البراءة من الامام علي (عليه السلام) لا مجرد السب واللعن، كما نقلنا ذلك سابقاً، حين طلب منه رسول معاوية التبرؤ من الامام علي لا مجرد

(60) مرآة العقول ج 9 / ص 178.

(61) نقلاً عن مرآة العقول. ج 9 ص 183.

السب، وقد ذكرت الروايات عدم جواز التبرؤ من الامام(عليه السلام) ، وكما طلب الامام(عليه السلام)، من حجر نفسه عدم التبرؤ منه في الرواية التي رواها حجر نفسه عن الامام(عليه السلام).

2 - يمكن أن نعتبر موقف حجر وجماعته، من مواقف عدم جدوى التقية وعدم جوازها، لأن حجراً وأصحابه كانوا يعلمون بأنهم مقتولون لا محالة، فلا جدوى من التقية، أو اظهار البراءة والسب، فإن النظام الحاكم قد أثبت عدم وفائه بعهوده، وكم أعطى الامان لافراد، ثم نكل بهم أو قتلهم، وكذلك فإن هذا النظام قد صمم على مطاردة الشيعة، والتنكيل بهم وقتلهم، وخاصة اقطاب الشيعة، الذين كان لهم تاريخ طويل في محاربة الطغاة والحكام المنحرفين عن الاسلام، لذلك كان حجر يعلم بأنه مقتول على كل حال. ولا جدوى من التقية، وقد ورد في بعض الروايات منع من التقية في أمثال هذا الموقف:

عن الامام الباقر(عليه السلام) قال: «انما جعلت التقية ليحققن بها الدم، فاذا بلغ الدم فليس تقية». وقد فسّر العلماء هذه الروايات بأنه لو توجه الضرر الى مسلم، في امواله او اعراضه او نفسه، وكان يمكنه من خلال التقية ان يدفع الضرر عن نفسه، ويوجهه الى مسلم آخر، بان يقتل المسلم الآخر ليدفع القتل او الضرر عن نفسه، فمثل هذه التقية غير جائزة.

ولكن بعض العلماء فسر الروايات تفسيراً آخر يمكن انطباقه على موقف حجر، قال: «بل معناه حصول سفك الدم لامحالة ان اتقى او لم يتق، فكان تشريع التقية لغواً بلا غاية، اذ بعد ان كان الشخص مقتولاً لا محالة له يكن للتقية معنىً ومحل، وهذا مما يحكم به العقل بلا حاجة الى ورود الحديث»<sup>(62)</sup>. فمعنى هذه الروايات - على هذا التفسير - ان الانسان لو علم بأنه مقتول لا محالة، فلا فائدة من استخدام التقية، لان التقية انما شرعت لدفع القتل او الضرر عن نفسه، فاذا علم بأنه سيصيبه القتل او الضرر فلا جدوى من التقية.

وقد تعرض هذا التفسير للمناقشة<sup>(63)</sup>.

وعلى كل حال، سواء انطبقت هذه الروايات على التفسير الثاني، ام لم تنطبق، فان مما يدركه العقل وجدانا، ويوافقه الشرع ايضاً، أن الانسان المسلم لو كان يواجه مثل هذا الموقف، الذي يحدد فيه الحالة التي يعيشها، وأنه لا جدوى من التقية، وأنه مقتول لا محالة، لا تشرع له التقية حينئذ باظهاره الكفر او البراءة او اللعن، اذ لا يدفع بتقيته هذه القتل او الضرر عن نفسه، اذ فيه دعم للاعداء بدون جدوى.

اذن، فان حجراً وامثاله من اقطاب الشيعة، كانوا يعلمون بانهم معرضون للقتل بيد النظام الحاكم، اذ ان هذا النظام قد صمم على مطاردة الشيعة الموالين للامام(عليه السلام) وخاصة اولئك المقربين الابطال من اصحابه، والذين قاتلوا معه، وقتلوا الكثير من اصحاب معاوية، وخاصة بعد ممارستهم لمهمة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستنكار اعمال معاوية، فسوف يقتلهم النظام الحاكم لا محالة، حتى لو

(62) حاشية المكاسب، الميرزا علي الايرواني / ص 47.

(63) مصباح الفقاهة ج 1 / ص 453.

أظهروا اللعن، واستجابوا في الظاهر لمتطلباته، ولكن هذا النظام الغاشم يعلم جيداً بأن حجراً، وعمرو بن الحمق، ورشيد الهجري، وصعصعة بن صوحان، وميثماً وامثالهم، ممن يشكلون خطراً على وجوده، وممن لا يستسلمون ولا يتخلون عن مبادئهم، وولائهم، وممن يطلبهم معاوية وامثاله بالثأر والانتقام لمواقفهم الجهادية مع الامام(عليه السلام)، ولأنهم يمثلون زعماء الشيعة. هذه وغيرها من العوامل تفرض على المسلم الواعي ان يعلم مسبقاً بأنه مقتول لا محالة على ايدي هذا النظام، وان لا جدوى من التقية. وقد ذكرنا بعض النصوص والشواهد التي تدل على تتبع زياد ومعاوية للشيعة وقتلهم، وقد سار على سيرتهم سائر الخلفاء الامويين بل العباسيين.

**3 - ذكر العلماء انه لو تعرضت بيضة الاسلام وكيانه الى الخطر، فيجب على المسلم الجهاد، او النهي عن هذا المنكر، حتى لو قتل في هذا السبيل.**

وقد فسر المراد من بيضة الاسلام، التي تفرض الجهاد والمواجهة: اما المراد منها الدولة الاسلامية الشرعية الصحيحة، او وجود المسلمين وحياتهم، او معالم الاسلام ووجوده ومعتقداته، كما لو تعرضت الحكومة الاسلامية الشرعية، الى العدو الذي يستهدف القضاء عليها، او ان المسلمين تعرضوا الى خطر الابداء، بحيث استهدف الاعداء قتلهم وابدانهم، او تعرض كيان الاسلام ومعالمه ومعتقداته ووجوده الى خطر الابداء، او التحريف، والتشويه، بحيث كان الاعداء يستهدفون محو الاسلام، او تشويهه وتحريفه، بحيث يحاولون تغيير الامة نفسياً وعقائدياً، لينسوا اسلامهم الاصيل، وليتطبعوا على مبادئ اخرى، او على اسلام محرف ومشوه<sup>(64)</sup>.

ولعله الى ما ذكرنا يشير المحقق القمي في كتابه جامع الشتات:

(الظاهر ان المراد من الخوف على بيضة الاسلام الخوف من استئصاله وانقطاعه بالمرة، ولما كان يحصل انقطاع كل شيء بانقطاع اصله وانصرافه كاساس الجدار واصل الشجرة، فاريد بالخوف على بيضة الاسلام الخوف على مابه قوامه وقيامه، فالمراد ان الكفار يريدون انصراف الاسلام بانصرام السلطان الذي هو بمنزلة الرأس لاستلزامه انصرام البدن، ولك ان تجعل البيضة مأخوذة من الحوزة بمعنى الناحية، يعني اذا حصل الخوف على ناحية الاسلام والمسلمين وجانبهم بحيث يخاف انصرامه او انصرامهم، فيجب الدفاع وان لم يكن باذن الامام، والحاصل ان المراد من الخوف على بيضة الاسلام الخوف على استئصاله وانقطاع رسمه، واما عطف المسلمين على بيضة الاسلام فهو ايضاً مما يوجب الدفاع وان لم يخف على انصرام اصل الاسلام اذ قد يكون هجومهم على جماعة خاصة من المسلمين بدون ارادة انصرام اصل الاسلام)<sup>(65)</sup>.

ويفهم من هذا النص وامثاله، ان الخوف على بيضة الاسلام له ثلاث مجالات:

(64) يلاحظ جامع الشتات ج 1 / ص86، وكشف الغطاء ص381.

(65) جامع الشتات ج 1 / ص 84.

1 - الخوف على الحكومة الاسلامية، ويعبر عنه بسلطان المسلمين (أي الخوف من انصرام هذا السلطان)، حيث يستهدف العدو الكافر الاطاحة بالحكومة الاسلامية الصحيحة ليمسك بيده مقدرات المسلمين، ويسيطر على زمام حكمهم.

2 - الخوف على الاسلام نفسه (الخوف على استئصاله وانقطاع رسمه)، حيث يحاول العدو الكافر ازالة معالم الاسلام وشعائره واحكامه، أي الوجود الاسلامي في ذلك المجتمع ويستخدم في ذلك مختلف الاساليب من الارهاب والاغراء وغيرهما، من اجل القضاء على الروح الدينية وهدم معالم الاسلام ومحو آثاره واحكامه.

3 - الخوف على المسلمين انفسهم (إذ قد يكون هجومهم على جماعة خاصة من المسلمين بدون ارادة انصرام اصول الاسلام). فيستهدف العدو الكافر بهجومه اباداة المسلمين انفسهم وقتلهم، وتشريدهم والتنكيل بهم، وهتك اعراضهم، وغيرها من الممارسات التي تستهدف المسلمين انفسهم. اذن، في مثل هذه الحالات الثلاث التي تتعرض فيها بيضة الاسلام للخطر، يجب على المسلم مواجهة هذا الخطر، والجهاد، والنهي عن المنكر، مهما بذل من توضيحات.

وقد حدد حجر واصحابه الواقع الموضوعي في تلك المرحلة الزمنية، وان معاوية كان يحاول اما اباداة الاسلام وازالة كيانه ومعالمه، او انه يحاول تحريفه وتشويهه، وتطبيع الامة على اسلام مشوه منحرف، فحددوا المرحلة بان كيان الاسلام يتعرض فيها الى خطر الابداء، بفعل الاساليب والممارسات التي يستخدمها النظام الاموي، من اجل القضاء على الاسلام الاصيل او تحريفه وتشويهه، ومن اجل اعادة الجاهلية ومنكراتها، وتقاليدها، وفي مثل هذه الحالة، يجب الجهاد والنهي عن المنكر، حتى لو بذلوا الدماء في هذا السبيل، حتى تنير دماء الشهداء، وصرخات المعذبين، الخوف في قلوب الاعداء والطغاة، ويردعوهم عن مواصلة ممارساتهم العدوانية ضد الاسلام والمسلمين، او التعرض لكيان الاسلام وبيضته، وكذلك حتى يبعثوا الوعي، والثورة والجرأة، في قلوب المسلمين، وبالفعل كانت لهذه الدماء الثائرة الزكية، هذه المعطيات، فانفجرت الانتفاضات، والثورات، بوجه الحكومات الظالمة، ودبت الصحو والجرأة والثورة في النفوس، وتزعزعت عروش الطغاة، واحلامهم، وكانت مبادئ اهل البيت(عليهم السلام) وقادتهم، وشعاراتهم، وتوضيحاتهم، وتضحيات اتباعهم وشيعتهم، هي الفتيل الذي الهب الجماهير المسلمة، وقد استغلها العباسيون في تفجير الثورة ضد الحكم الاموي، حين لم تكن الظروف الموضوعية متوفرة للقادة الحقيقيين، ائمة اهل البيت(عليهم السلام) من القيام بهذه الثورات، او قيادتها بانفسهم.

4 - الامر بالمعروف والنهي عن المنكر: وهما من اهم الواجبات الدينية، ويكتسبان الاهمية من الآثار التي تترتب عليهما. ونحن نعلم بان الاحكام تابعة للمصالح والمفاسد في متعلقاتها، فالواجب يكتسب اهميته من مصالحه والآثار المترتبة عليه، وقد وردت نصوص كثيرة في معطيات الامر بالمعروف والنهي عن

المنكر بما يؤكد اهميتهما، ومنها، انه يوفر المناخ الملائم لامتنال سائر الاحكام، ويظهر المجتمع من عوامل الفتنة والانحراف، وفي بعض مراحلها، وهو النهي باليد جرحاً أو قتلاً، يردع الشخص العامل بالمنكر وغيره عن ارتكاب المعصية، وبذلك يتوفر المناخ المناسب لاعمال الخير واقامة الفرائض والتكامل الفردي والاجتماعي وتحسين حالة المجتمع اجتماعياً، ودينياً واخلاقياً واقتصادياً، وغيرها من الآثار فقد ورد عن المعصومين(عليهم السلام)(ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الانبياء ومنهاج الصلحاء، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، وتأمين المذاهب وتحل المكاسب وتُرد المظالم وتعمُر الارض وينتصفُ من الاعداء ويستقيمُ الامر)<sup>(66)</sup>.

ونحن لو تأملنا في هذا النص وامثاله بدقة، لرأينا حافلاً بالآثار الدنيوية والاخرية الكثيرة المترتبة على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولعلها آثار ونتائج طبيعية اضافة للمدد الغيبي الخاص الذي يفيضه الله تعالى لمن يقوم بهذا الواجب المهم، وهذه هي التي تمثل الملاكات لهذا الحكم.

وهذه الآثار تشبه الآثار الايجابية التي رتبت في النصوص الاسلامية على فعل الجهاد، والآثار السلبية التي رتبت على تركه، وقد اشير في نهج البلاغة الى بعض هذه الآثار السلبية لتركه (فمن تركه - اي الجهاد - رغبة، البسه الله ثوب الذل، وشمله البلاء، وديث بالصغار والقماء، وضرب على قلبه بالاسداد (بالاسهاب)، وأدبل الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف ومنع النصف) واما آثاره الايجابية فتشير النصوص اليها. منها ان الجهاد (درع الله الحصينة، وجنته الوثيقة) ومنها (جاهدوا تغنموا) وكذلك (ان الله فرض الجهاد وجعله نصره وناصره والله ما صلحت دنيا ولا دين الا به).

فان الامة التي تقوم بواجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد، هي امة قوية يمكنها الحفاظ على نفسها ومبادئها ربما لا يفكر الاعداء حتى في محاربتها واما غير القائم بذلك، فلا يمكنها الحفاظ على نفسها ومبادئها، لذلك ربما تموت في مجاهل التاريخ، ويستولي الاعداء على مقدراتها، ويقضون على مبادئها ومن هنا ذكرت الآثار الايجابية لفعل هذا الواجب والآثار السلبية لتركه.

ودراسة هذه الآثار تحتاج الى بحث اوسع.

ونحن نعلم ان النهي عن المنكر له مراتب متدرجة، لا ينتقل للمرحلة الاشد إلا بعد عدم تأثير الاضعف، فيبدأ من الانكار القلبي، فان امكن ردع العامل وتحقيق الاهداف المنشودة من هذا الواجب بالاعراض والانكار قلباً فيكتفى به، وإلا انتقل للنهي باللسان والكلمة، فان لم تؤثر هذه المرحلة أيضاً، فينهى عن المنكر باليد، بضرب العامل بالمنكر أو جرحه، بل حتى لو توقف على قتله، وفي هذه المرحلة الاخيرة وهي مرحلة اليد يشترط اذن الحاكم الشرعي، ويعلله صاحب الجواهر بقوله (... كل ذلك مضافاً الى ما في جواز ذلك لسائر الناس عدولهم وفساقهم، من الفساد العظيم، والهرج والمرج المعلوم عدمه في الشريعة وخصوصاً في مثل هذا الزمان الذي غلب النفاق فيه على الناس فانهما - الامر بالمعروف والنهي

عن المنكر - انما وجبا لمصلحة العالم، فلا يقفان على شرط كغيرهما من المصالح، بعد ما عرفت من اقتضاء وجوبهما على هذا الوجه فساد نظام العالم<sup>(67)</sup>.

والنهي عن المنكر باليد بالجرح أو القتل يتم بصورتين:

1 - فيما لو كان الحاكم الشرعي مبسوط اليد متمكناً من اجراء الحدود، فهنا يعاقب العامل بالمنكر بالعقوبات المحددة شرعاً.

2 - فيما لو لم يمكن اجراء الحدود، بان لم يكن الحاكم متمكناً من اجرائها، فهنا يقوم بعض المسلمين العاملين بمحاربة المنكر، واستئصاله من المجتمع ولو بضرب العامل به، فيما لو لم تفلح الاساليب الاخرى من الانكار القلبي واللساني.

وهذا يدل على ان القوة هي العلاج الاخير الذي يستخدمه الاسلام لمواجهة الانحراف، وتطهير المجتمع منه حيث لا تثمر الاساليب الاخرى.

وتدل على المراحل الثلاث للنهي عن المنكر نصوص عديدة، (عن عبد الرحمن بن ابي ليلى، قال: اني سمعت علياً(عليه السلام) يوم لقينا أهل الشام يقول: ايها المؤمنون انه من رأى عدوانا يعمل به ومنكراً يدعى إليه، فانكره بقلبه فقد سلم، ومن انكره بلسانه فقد أجر، وهو افضل من صاحبه، ومن انكره بالسيف لتكون كلمة الله العلياً وكلمة الظالمين السفلى فذلك اصاب سبيل الهدى، وقام على الطريق ونور في قلبه اليقين).

(وعن الامام الباقر(عليه السلام): فانكروا بقلوبكم، والفظوا بالسنتكم وصكوا بها جباههم، ولا تخافوا في الله لومة لائم، فان اتعظوا والى الحق رجعوا فلا سبيل عليهم، انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق، اولئك لهم عذاب اليم، هنالك فجاهدوهم بابدانكم، وابغضوهم بقلوبكم غير طالبين سلطانا، ولا باغين به مالاً، ولا مريدين بالظلم ظفرأ، حتى يفيئوا الى امر الله، ويمضوا على طاعته<sup>(68)</sup>).

وقد ذكر العلماء: ان من شروط النهي عن المنكر عدم خوف الضرر بالنسبة للقائم بعملية النهي عن المنكر.

ولكن الملاحظ ان الفقهاء فرقوا بين ما لو لم يكن المنكر ضرراً كبيراً على كيان الاسلام والمسلمين، فلا يجب النهي عن المنكر فيما لو خاف ترتب الضرر عليه، أو على غيره من المسلمين، واما لو كان للمنكر ضرر كبير كما لو تهدد ببيضة الاسلام وكيان المسلمين، فهنا يلزم النهي عنه حتى لو لزم منه الضرر على القائم بالنهي ولكن فيما إذا احرز تأثير عمله في هذا المجال.

(67) جواهر الكلام 21 / 383.

(68) وسائل الشيعة باب 3 من ابواب الامر والنهي حديث 8 - 1.

فقد ذكروا في شروط النهي عن المنكر (ان لا يلزم من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ضرر على النفس أو في العرض أو في المال على الأمر أو على غيره من المسلمين، فإذا لزم الضرر عليه أو على غيره من المسلمين لم يجب، والظاهر انه لا فرق بين العلم بلزوم الضرر والظن به والاحتمال المعتد به عند العقلاء الموجب لصدق الخوف، هذا فيما إذا لم يحرز تأثير الأمر أو النهي واما إذا احرز ذلك فلا بد من رعاية الاهمية، فقد يجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع العلم بترتب الضرر أيضاً فضلاً عن الظن به أو احتمالاًه<sup>(69)</sup>.

ومن هنا ربما جاز أو لزم النهي عن المنكر حتى لو ترتب الضرر على القائم بعملية النهي، فيما لو توفرت المبررات الشرعية لذلك، كما لو كان للمنكر ضرر كبير على بيضة الاسلام وكيانه، فيما لو احرز تأثير نهيه والضرر الذي يتعرض له في الدفاع عن بيضة الاسلام، ودفع المنكر، ومن هنا يلزم الدقة الشرعية في مجال النهي عن المنكر الذي يترتب عليه الضرر، وان يكون القائم بعملية النهي عالماً بالاحكام الشرعية والظروف الموضوعية التي يعيشها ولا يحق لكل احد وفي أي ظرف كان التصدي لذلك، مع عدم علمه بمثل هذه الاحكام والظروف.

وربما يعترض على تحمل الضرر في ذلك بان قاعدة نفي الضرر (لا ضرر ولا ضرار في الاسلام) تنفي الحكم الذي ينشأ منه الضرر، أو تنفي الموضوع الضروي، الذي يعني نفي الاحكام والآثار الشرعية الثابتة للموضوع قبل عروض الضرر، حيث ينفىها الضرر، فمثلاً الوضوء قبل عروض الضرر، له حكم الوجوب شرعاً، ولكن بعروض الضرر من الوضوء، ينتفي هذا الحكم، وهكذا هنا، انما يجب النهي عن المنكر فيما لو لم يترتب عليه ضرر، واما لو ترتب الضرر فلا وجوب للنهي، وهكذا الامر في وجوب الجهاد.

والجواب عن ذلك:

أولاً: ان هذا المورد الذي تتعرض فيه بيضة الاسلام وكيان المسلمين إلى الخطر، حيث للمنكر ضرره وله مفسدة بالغة على الاسلام فأن وجوب دفع الضرر عن الاسلام اهم من دفع الضرر عن نفسه، فهنا تتراحم بين الضررين، الضرر الشخصي الذي يتعرض له الشخص القائم بالنهي عن المنكر، والضرر الكبير الذي تتعرض له بيضة الاسلام، ولا شك بان الضرر الثاني اهم من الاول، في وجوب دفعه عن الشريعة، حيث ان مفسدته اكبر من مفسدة الضرر الشخصي، وفي مقام التزاحم بين حكمين، يقدم ما كان معلوماً أو محتمل الاهمية.

ثانياً: بان قاعدة نفي الضرر انما تجري في غير موارد تعارض الضررين في بعض صورته، لانها قاعدة امتنانية شرعت امتناناً على المسلمين، ولا امتنان في دفع الضرر عن شخص فيما لو ترتب عليه

ضرر اهم على نفسه أو على غيره من المسلمين أو الاسلام نفسه، فيتحدد جريان القاعدة في حدود توفر الامتتان.

**ثالثاً:** ذكر العلماء بان قاعدة نفي الضرر قاعدة ثانوية ناظرة لنفي الاحكام الثابتة للموضوعات بعناوينها الاولى، وبناء على تفسير نفي الضرر ببعض التفاسير، حيث ان القاعدة تنفي الحكم الثابت للموضوع بعنوانه الاول، فلو كان للموضوع قبل عروض الضرر حكم شرعي، فانه بعروض الضرر ينتفي ذلك الحكم، بمفاد قاعدة نفي الضرر، كما مثلناه في الوضوء، وكما هو الامر في حديث الرفع، فلو كان للموضوع قبل عروض الاكراه أو الخطأ عليه حكم ما، فانه بعروض الخطأ مثلاً عليه، يرتفع ذلك الحكم، واما إذا كان الموضوع بنفسه قد اخذ فيه الخطأ، أي ان الحكم لم يترتب على ذات الفعل وانما ترتب على الفعل الصادر خطأ، فاخذ الخطأ في موضوعيته للحكم، كوجوب الدية المترتب على القتل خطأ، فهنا بحصول الخطأ لا ينتفي وجوب الدية، لانه بالقتل خطأ يتحقق موضوع هذا الحكم، وكيف يمكن للحكم ان ينتفي عن موضوعه ويتخلف عنه، لان الموضوع بالنسبة للحكم مثل العلة بالنسبة للمعلول، ولا يتخلف المعلول عن علته، وهكذا الامر في قاعدة نفي الضرر، فانما تنفي الحكم عن الموضوع الذي لم يؤخذ فيه الضرر، واما إذا ثبت الحكم للموضوع الضروري، أي اخذ الضرر في موضوع الحكم، فلا ينتفي بالقاعدة، كما هو الامر في وجوب الخمس والزكاة والجهاد، فانه قد اخذ في موضوع هذا الوجوب الضرر المالي أو البدني، فلا يمكن القول بعدم الوجوب بحجة التعرض لمثل هذا الضرر، وربما يقال بذلك في بعض صور الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وانه اخذ في موضوعها الضرر.

نعم ربما يقال: إن ما ذكر يصح في مثل وجوب الخمس أو الجهاد حيث لا يمكن تحقق الجهاد بدون ضرر واما وجوب النهي عن المنكر فقد اخذ عدم الضرر في موضوعه، فكيف يؤخذ الضرر في موضوعه.

ولكن يمكن القول: إن بعض صور النهي عن المنكر هي في واقعها من الجهاد موضوعياً، كما لو كان المنكر يتهدد ببضة الاسلام، ويجب دفعه، فان مثل هذه الصورة مما يلزم الضرر خارجاً، ومن هنا يكتسب النهي عن المنكر في هذا المورد خصائص الجهاد واحكامه، بالاضافة لما ذكرناه من وقوع التزام في بعض الموارد بين الضرر الشخصي، والضرر الذي يترتب على الاسلام والمسلمين.

ومن هنا يمكن تأييد هذه الفكرة بانطباق بعض صفات الجهاد واهدافه وآثاره على بعض هذه المواقف، مما يفرض الوقوف بوجه الانحراف والمنكرات، والمنحرفين، حتى لو استلزم ذلك تحمل الضرر.

ومثل هذه الفكرة يمكن صدقها على مواقف بعض المؤمنين الموالين لاهل البيت(عليهم السلام) في مواجهة اعدائهم، اعداء الاسلام الاصيل الذين يريدون اطفاء هذا النور الالهي لتعيش البشرية في ظلمات الانحراف والسقوط.

وقد ذكرنا معطيات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، حتى لو استلزم الضرر منه، وذلك بالدفاع عن بيضة الاسلام وكيان المسلمين ودفع المنكر الشديد وكذلك الآثار التي استعرضناها في بداية هذا العامل.

واما آثار الضرر الذي يتعرض له القائم بعملية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من الاضطهاد، والجرح بل وحتى القتل والشهادة فلها آثارها الكبيرة في الدنيا والآخرة، ذكرت الروايات الشريفة الكثير من هذه الآثار.

فمن المسلمات في الشريعة الاسلامية (ان افضل الاعمال احمزا) فكلما كان العمل اكثر مشقة، كان اكثر فضيلة وثوابا لانه يدل على ان صاحبه اكثر تعلقاً بمحبوبه بحيث يكون مستعداً للمشقة والتضحية براحته في سبيله، وكلما كان العمل اكثر مشقة كان اكثر تأثيراً في تكامل الانسان، ولكن يجب ان نعلم ان الضرر الذي يصيبه لا يعد ضرراً تجاه المنافع الكبيرة التي تترتب على متاعبه.

واما آثاره الاخروية فهي كثيرة وخاصة للشهيد في هذا السبيل، وقد ذكرت في الروايات، يضيق المجال لو تعرضنا لها، منها (عن الامام الصادق(عليه السلام): **من قتل في سبيل الله لم يعرفه الله شيئاً من سيئاته) وغيرها<sup>(70)</sup>**، وفي الروايات ما يدل على ان له منزلة سامية في الآخرة، وهي تدل على ما وصل إليه في الدنيا من سمو ومكانة، حيث ان المقام في الآخرة، يعبر عن مستوى الانسان ايماناً في الدنيا.

اضافة إلى بعض آثار هذا الضرر في الدنيا وخاصة الشهادة في سبيل الله إذا كانت لها مبرراتها الشرعية، حيث انها تخيف الاعداء، وتبعث روح التضحية والوعي في قلوب الانصار، وتحافظ على المبدأ والامة، فانها تخيف الاعداء وتورقهم بوجود امثال هؤلاء الذين يستعدون للتضحية في سبيل مبادئهم والوقوف في وجوههم، ومقاومتهم.

وتبعث روح الوعي في نفوس الانصار: لان الآخرين يدركون ان هناك من هو أكثر اهمية، واعتباراً وربما اكثر توفراً على المكتسبات الدنيوية وانضر شباباً، قد ضحى في سبيل المبدأ، فيقتنع بان المبدأ اغلى من كل شيء، وبذلك يزول الشعور بالخوف من النفوس بالاضافة الى انه يكسر حاجز الخوف النفسي والاجتماعي من قوى الطواغيت واساليبها حتى يرى تحدي المؤمنين لها، وتزعزع الظلمة من مواجهتهم.

ولو كان الاعداء كما يدعون حقاً ملتزمين بالمبادئ الحق والعدالة والاسلام، اذن لماذا طاردوا هؤلاء الذين لا يطالبون إلا بالحق والعدالة والاسلام والمبادئ الخيرة، والفضائل والقيم الانسانية، وهذا ما يثير الناس اكثر، ويسقط اعتبار الاعداء.

وكلما كان الانحراف اشد، احتاج الى دم اغلى واكثر اهمية وقداسة لمواجهته، وليكون اكثر تأثيراً في تحقيق الاهداف التي ينشدها، لذلك كانت دماء الامام الحسين(عليه السلام) والموالين الكبار لاهل البيت(عليهم

السلام) كحجر بن عدي اكثر تأثيراً ولو لا هذه الجهود والتضحيات من الموالين لاهل البيت(عليهم السلام)خلال التاريخ ربما لضعفت مبادئهم بتأثير الضربات المتوالية التي وجهت لها عبر التاريخ، اذن فالذي حافظ على حياة الموالين ومبادئهم، هو ما تملكه هذه المبادئ من تعاليم حقّة سامية، لانها تمثل الاسلام الاصيل، وللجهود والتضحيات الكبيرة التي بذلها انصارها في سبيل الحفاظ عليها والدفاع عنها. وهناك آثار ومعطيات كثيرة، للامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، والاضرار والمشاق التي يتحملها القائم بها، تذكر في النصوص الاسلامية واقوال العلماء والباحثين يضيق المجال لو تعرضنا لها، نكتفي بهذا العرض الموجز عنها.

وربما كانت المبررات المذكورة هي الدافع لحجر، جميعها، او بعضها، وربما كان الدافع غيرها. والله العالم.

واخيراً يجدر بنا ان نقول: إن ما قام به حجر و امثاله من المؤمنين، والعلماء والعباد الابطال، هي حالات موضوعية، وهم اعرف من غيرهم بالواقع الموضوعي، الذي عاشوه، وبالموقف الذي يلزم عليهم اتخاذه تجاه تلك الظروف التي تواجه الاسلام، مع علمنا وعلم الجميع، بما يملكه هؤلاء من ايمان وعلم، ووعي، فان لهم مبرراتهم الاسلامية المشروعة من اتخاذ هذه المواقف.

ويدل على مشروعية تضحيته وحركته - والشواهد كثيرة - ثناء الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، والامام امير المؤمنين(عليه السلام) عليه، وعلى حركته وتضحيته، وكذلك سائر الائمة(عليهم السلام)، وثناء الكثير من الصحابة والتابعين والعلماء. وقد نقلنا خلال هذا الكتاب الكثير من هذه الاحاديث والاقوال، ونكتفي هنا بما قاله الامام علي(عليه السلام)لحجر، حيث كان الامام(عليه السلام) على فراش الاحتضار بعد طعن ابن ملجم له، وقد ذكرنا الخبر بكامله سابقاً، ونذكر هنا ماله علاقة بهذا الموضوع، بحيث يدل ايضاً على ما ذكرناه في موضوع التقية. قال الامام(عليه السلام)- له - لحجر: «كيف لي بك اذا دعيت الى البراءة مني فما عساك ان تقول؟ فقال: والله يا امير المؤمنين، لو قطعت بالسيف اربا اربا، واضرم لي النار، والقيت فيها، لآثرت ذلك على البراءة منك. فقال: وفقت لكل خير يا حجر، جزاك الله خيراً عن اهل بيت نبيك»<sup>(71)</sup>.

### نظرة عامة في حركة حجر ومصرعه:

اكد حجر انه لم ينقض بيعة معاوية، ولم يعمل للاطاحة بالحكم الاموي، تدل على ذلك تصريحاته هو وجماعته، وتصريحات المستنكرين على معاوية، وانما حاول حجر وجماعته القيام بمهمة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاعتراض على سب الامام(عليه السلام)على المنابر فحسب. وقد مرت نماذج من هذه التصريحات.

ومن المؤكد ان حجراً لم يكن مؤمناً بخلافة معاوية اسلامياً، وانما رأى الظروف تسوّغ له البيعة، كما دفعت غيره من المؤمنين لبيعة معاوية. ولكن هذه البيعة لا تفرض على المؤمن السكوت عن الانحرافات والمنكرات، فكان حجر وجماعته وغيرهم من المؤمنين ينبهون الامة او النظام الحاكم على انحرافاته وانحرافات عماله وانصاره.

ولكن معاوية وزمرته انما استولوا على الحكم، طمعاً بالمطامع الدنيوية، ولأجل ارتكاب تلك المنكرات، وقد استخدموا مختلف الاساليب والممارسات في تطبيع الامة على حياة ملائمة لاطماعهم، ومن هنا كان يرى في وجود حجر وامثاله خطراً يتهدد وجوده واحلامه، وكان يخشى ان يثير حجر واصحابه الامة ضد ممارساته ومخططاته، وبذلك تذهب جهوده ادراج الرياح، فكان يخشى انتشار هذه الآراء الرافضة بين الجماهير، وبذلك يعسر القضاء على هذا الوعي والغضب الجماهيري. فقد روى ابن كثير في تاريخه ان عبد الرحمن بن الحارث قال لمعاوية: «اقتلت حجر بن الادبر؟ فقال معاوية: قتله احب الي من ان اقتل معه مئة الف، وقال معاوية: اني رأيت في قتلهم صلاحاً للامة، وفي مقامهم فساداً للامة، وقال: اني وجدت قتل رجل في صلاح الناس خيراً من استحيائه في فسادهم»<sup>(72)</sup>، ونظر ذلك ما اجاب به معاوية على استنكار عائشة<sup>(73)</sup>. ولم يقصد معاوية من صلاح الامة، إلا تمرير الحكم الفاسد، وتطبيع الامة على قبول ممارساته ومنكراته، ولم يقصد من فسادهم الا انتشار الوعي الثوري الاسلامي، وانكشاف منكرات النظام ومساوئه، وبذلك يتزعزع العرش الاموي. وكان المغيرة بن شعبه، عامل معاوية على الكوفة، وهو من عملاء معاوية، ومن دهاة العرب، يعلم جيداً بان معاوية يستهدف من خلال القضاء على الاصوات الواعية والرافضة التي تمثل الاسلام الحقيقي والرفض للاعمال المنحرفة التي يمارسها النظام الحاكم يستهدف دعم سلطانه وتثبيتته، ولو على حساب تشويه سمعة المغيرة وسحقه، فانه لما اشير على المغيرة التمكنيل بحجر واصحابه اجاب: (لا احب ان ابتدى اهل هذا المصر بقتل خيارهم، وسفك دمائهم، فيسعدوا بذلك واشقى، ويعز في الدنيا معاوية، ويذل يوم القيامة المغيرة). اجل، اراد معاوية ان يخنق كل اصوات الرفض والهداية في الامة، وان يزيل كل العقبات امام نزواته، واستخدم في سبيل ذلك شتى الاساليب والممارسات، حتى يستمر في سلطانه، ويوطد لبني امية الحكم من بعده. ولكنه لدهائه، لم يواجه تلك العقبات بصورة سافرة، وانما كان يخطط للقضاء عليها، وكانت له حاشية من الدهاة المتزلزين، ترسم له الخطط الدقيقة، لمواجهة شتى التحديات، لذلك رأيناه، حينما واجه استنكار الامة لقتله حجراً، يلقي اللوم على الشهود، ويتضح من ذلك ان الشهادة كانت مخططاً مدروساً، للتغطية على اهدافها، حيث كان يستهدف من خلالها امتصاص الغضب الجماهيري الناجم من قتل حجر واصحابه، لذلك قال معاوية: «لست انا قتلتهم، وانما قتلهم من شهدوا عليهم». وقد ذكرنا ظروف الشهادة، وصفات الشهود، مما يدل

(72) تاريخ ابن كثير.

(73) اعلام الورى ص43.

على ان الشهادة كانت مخططا يستهدف من خلاله القضاء على حجر وجماعته، بصورة لا تثير غضبا على السلطة الحاكمة، وتعطي للشهادة صيغة مشروعة من حيث متنها، وظروفها، وشهودها. بل انه من خلال القضاء على هذه الجماعة، بالرغم من انها كانت معروفة بين المسلمين، ارادوا خنق سائر الاصوات الواعية، وارهابها واسكات استنكارها لسياسة معاوية، وبث الذعر في النفوس. ولكن الحقيقة لم تخف على الواعين، وان سكتوا طمعا او خوفاً من معاوية، وكذلك انكشفت الحقيقة للتاريخ والاجيال اللاحقة، حيث ان الفرق واضح بين الجانبين، جانب حجر وجماعته، وجانب معاوية وزمرته وجلالوته. لقد كان حجر وجماعته يمثلون الالتزام الاسلامي الشديد، بينما يمثل الجانب الآخر الانحراف والتزلف والجاهلية، وحب الدنيا، وقد شهد لهذا الفرق رجال العصور في استنكارهم لهذه المجزرة، حتى المغيرة عامل معاوية، بل حتى معاوية كان يشعر بقصوره عنهم، بعد اظهار ندمه رياءً على ما ارتكبه. وعلى العكس مما استهدفه معاوية، من خنق صوت الرفض والوعي الاسلامي من خلال هذه المجزرة، فقد فجرت هذه الدماء الزكية الصحوه والثورة في قلوب المسلمين، عبرت في بداياتها عن نفسها بصورة استنكار من الزعماء، وغيرهم، ثم اخذ التذمر يكبر ويمتد إلى سائر المسلمين، نتيجة لهذه المجزرة، وسائر الممارسات الاجرامية، والمنكرات التي قام بها النظام الاموي، لينعكس اثرها على الانتفاضات التي قام بها بعض المتذمرين، حيث ادت بالتالي إلى الاطاحة بالحكم الاموي، وان استفاد بعض طلاب الدنيا من حالة الرفض والاستنكار هذه، للتوصل إلى اطماعهم. لقد استهدف معاوية القضاء على الوعي الثوري الاسلامي، ولكن تحدى مخططاتهم، بعض المؤمنين الملتزمين الذين لم تسمح عقيدتهم بالسكوت امام هذه الموجه الجاهلية، حيث شعروا بضرورة الوقوف بوجهها حتى لو ادى ذلك للتضحية بارواحهم من أجل ان لا تحقق اهدافها بما يهدد كيان الاسلام وبيضته، ولو لا تلك الدماء الطاهرة التي اريقَت في سبيل العقيدة، لكان مستقبل الاسلام مظلماً قاتماً، ولما وصل الاسلام الاصيل الى الاجيال اللاحقة، حتى يومنا هذا. لقد سجل الاسلام الاصيل خلوده، بفضل قوة الاسلام واصالته وروحه وتعاليمه، وبفعل تلك الدماء الزكية الثائرة التي اريقَت في سبيل الحفاظ على وجهه الاصيل المشرق.

\* \* \*

**ما قيل من الشعر في حجر: رثاء حجر** نذكر هنا بعض ما رثي به حجر واصحابه من الشعر: قالت هند بنت زيد بن مخربة (مخرمة) الانصارية<sup>(74)</sup>، وكانت شيعية ترثي حجراً: ترفع ايها القمر المنير تبصر هل ترى حجراً يسير<sup>(75)</sup> يسير الى معاوية بن حرب ليقتله كما زعم الامير<sup>(76)</sup> تجبرت الجبابر بعد حجرو طاب لها الخورنق والسدير<sup>(77)</sup> واصبحت البلاد لها محولاً كأن لم يحيها مزن مطيراً لا يا حجر حجر بني عديت لقتك السلامة والسرور اخاف عليك ما أردى عدياً وشيخاً في دمشق له زئير<sup>(78)</sup> يرى قتل الخيار عليه حقاله من شر امته وزيراً لا ليت حجراً مات موتاً ولم ينحركما نحر البعير<sup>(79)</sup> فان يهلك فكل زعيم قوم من الدنيا الى هلك يصير<sup>(80)</sup> وقد نسبت هذه الابيات لاخت حجر بن عدي، كما نسبت في مروج الذهب الى ابنة حجر، وذكر أنه لا عقب له من غيرها، وانها انشدت هذه الابيات حين صار ركب حجر على اميال من الكوفة<sup>(81)</sup>. وقال الطبري: وقالت الكندية ترثي حجراً، ويقال: بل قائلها هذه الانصارية: دموع عيني ديمة تقطر تبكي على حجر وما تقتلوا كانت القوس على أسرها حمل السيف له الاعور<sup>(82)</sup> وذكر في اعيان الشيعة: «وقال ابن عساكر: وقال قيس بن فهدان يرثيه وهي في النسخة مغلوبة واصلحناها بقدر الامكان: يا حجر ياذا الخير والحري اذا الفضال (الفعال) ونابه الذركنت المدافع عن ظلامتنا عند الظلوم ومانع الثغراما قتلت فانت خير همفي العسر ذي العصا وفي اليسريا عين فابكي خير ذي يمنوز عيمها في العرف والنكر فلا بكيين عليك مكتئباً فلنعم ذو القربى وذو الصهر يا حجر امن المعتفين اذارم الشتاء وقل من يقرimen لليتامى والأرامل انحقن الربيع وظن بالوفرام من لنا بالحرب ان بعثتمستبسلأ يغري كما تغريفسعدت ملتمس التقى وسقى قبراً اجنك مسبل القطر كانت حياتك اذ حييت لنا عزا وموتك قاصم الظهر وتريشنا في كل نازلة تنزلت بساحتنا ولا تبرييا طول مكتأبي لقتلهم حجراً وطول حرازة الصدر قد كدت اصعق جازعاً اسفاً واموت من جزع على حجر فلقد خذلت وقد قتلت ومنلم تشعبه حوادث الدهر فلذاك قلبي مسعر كمداً ولذاك دمعي ليس بالنزرو لذاك نسوتنا حواسر يستبكيين بالاشراق

(74) وفي الاغاني: «وقالت امرأة من كندة ترثي حجراً». وفي اعيان الشيعة: «حين سير بحجر الى معاوية» ونحوه في تاريخ دمشق، وقد نقلنا النص عن تاريخ الطبري.

(75) في الاغاني: «لعلك ان ترى حجراً يسير». وفي اعيان: «ترفع هل ترى حجراً يسير».

(76) في الاعيان: «كما زعم الخبير».

(77) في الاغاني: «تربعت الجبابر».

(78) في الاغاني: «اخاف عليك سطوة آل حرب».

(79) لم يذكر هذا البيت في الاغاني والاعيان، وانما ذكر في تاريخ الطبري.

(80) في الاعيان: «فان تهلك فكل عميد قوم الى هلك من الدنيا يصير»، وكذلك في الاغاني، مع اختلاف يسير: «فان تهلك فكل

زعيم قوم». يلاحظ مصدر هذه الابيات: تاريخ الطبري ج 4 / ص 209، الاغاني ج 16 / ص 17، اعيان الشيعة ج 4 / ص

585، الطبقات ج 6 / ص 220.

(81) مروج الذهب ج 3 / ص 3.

(82) تاريخ الطبري ج 4 / ص 209.

والظهر ولذاك رهطي كلهم اسفجم التأوه دمعته يذري»<sup>(83)</sup> وكان عبدالله بن خليفة الطائي شهد مع حجر بن عدي، فطلبه زياد فتوارى فبعث اليه الشرط، وهم اهل الحمراء يومئذ فأخذوه، فخرجت اخته النوار فقالت: يامعشر طيئ، اتسلمون سنانكم ولسانكم عبدالله بن خليفة؟ فشد الطائيون على الشرط فضربوهم وانتزعوا منهم عبدالله بن خليفة، فرجعوا الى زياد فاخبروه، فوثب على عدي بن حاتم وهو في المسجد، فقال: انتني بعبدالله بن خليفة. قال: وماله؟ فاخبره. قال: فهذا شيء كان في الحي لا علم لي به. قال: والله لتأتيني به. قال: لا والله لا أتيك به ابداً، اجيئك بابن عمي تقتله؟! والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه. قال: فأمر به الى السجن. قال: فلم يبق بالكوفة يمانى ولا رباعي الا اتاه وكلمه وقالوا: تفعل هذا بعدي بن حاتم صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟! قال: فاني اخرجته على شرط. قالوا: ماهو؟ قال: يخرج ابن عمه عني فلا يدخل الكوفة مادام لي بها سلطان، فاتي عدي فأخبر بذلك، فقال: نعم، فبعث عدي الى عبدالله بن خليفة فقال: يا بن اخي ان هذا قد لج في امرك وقد ابى الا اخراجك عن مصرك مادام له سلطان، فالحق بالجبليين، فخرج. فجعل عبدالله بن خليفة يكتب الى عدي، وجعل عدي يمينه، فكتب اليه: (وهي قصيدة طويلة نظمها عبدالله بن خليفة في رثاء حجر واصحابه، تقتصر منها على ذكر هذه الابيات): تذكرت ليلي والشبية اعصرا وذكر الصبا برح على من تذكر او لى الشباب فاقتقدت غصونهم فيالك من وجد به حين ادبر اذع عنك تذكر الشباب وفقد هو أساره اذ بان منك فاقصر او بك على الخلان لما تخرمو ولم يجدوا عن منهل الموت مصدرا دعته منايهم ومن حان يومهم الناس فاعلم انه لن يؤخر اولئك كانوا شيعه لي وموئلا اذا اليوم ألفي ذا احتدام مذكرا وما كنت اهوى بعدهم متعللاً بشيء من الدنيا ولا ان اعمر القول ولا والله انسى اذكرا همسجيس الليالي أو أموت فاقبرا على (اهل عذراء) السلام مضاعفاً من الله وليسق الغمام الكنهو را ولا قى بها (حجر) من الله رحمة فقد كان ارضى الله حجر واعذرا ولا زال تهطل ملث وديمة على قبر (حجر) او ينادى فيحشرافيا حجر من للخليل تدمي نحور هاو للملك المغزي إذا ما تغشمو را ومن صادع بالحق بعدك ناطق بيقوى ومن ان قيل بالجور غير افنعم اخو الاسلام كنت واننيلا طمع ان تؤتى الخلود وتحبرا وقد كنت تعطي السيف في الحرب حقها وتعرف معروفاً وتتكبر منكرا \*\*\* فيا اخوينا من هميم غصمتما وئسرتما للصالحات فابشرا ويا اخوي الخندفيين أبشرا فقد كنتما حييتما ان تبشرا ويا اخوتا من حضر موت وغالبوشيبان لقيتم حسابا ميسرا سعدتم فلم اسمع باصوب منكم حجاجا لى الموت الجليل وأصبرا سأكبكم مالا ح نجم وغرد الحمام ببطن الواديين وقرقرا الى ان يقول فيها: فها انا ذا داري باجبال طيئ طريداً ولو شاء الاله لغير انفاني عدوي ظالماً عن مهاجر يرضيت بما شاء الاله وقدر<sup>(84)</sup> وقال الطبري: «وقال عبيدة الكندي ثم البدي وهو يعير محمد بن

(83) اعيان الشيعة ج 4 / ص 586.

(84) تاريخ الطبري ج 4 / ص 210.

الاشعث بخذلانه حجراً: اسلمت عمك لم تقاتل دونه فرقاً ولولا انت كان منيعاً وقتلت وافد آل بيت محمد وسلبت أسياً له ودرو عا لو كنت من اسد عرفت كرامتي ورايت لي بيت الحباب شفيحاً<sup>(85)</sup>

والمراد من (وافد آل محمد) هو مسلم بن عقيل بن ابي طالب، حيث ارسل ابن زياد محمد بن الاشعث لقتاله والقبض عليه في الكوفة. قال الشيخ محمد بن مكي (الشهيد الاول): انشدني خادمهم هذه الابيات: جماعة بثرى عذراء قد دفنوا وهم صحاب لهم فضل واعظام حجر قبضة صيفي شريكهم ومحرز ثم همام وكرام عليهم الف رضوان ومكرمة تترى تدوم عليهم كلما داموا قال محمد بن مكي فزدت بيتاً: ومثلها لعنات للآلى سفكو ادماءهم وعذاب بالذي استاموا وقد علق السيد الامين على هذه الابيات: «اقول: الذي في النسخة المنقول عنها من الدرجات «كرام» بالراء، ولا شك انها كانت كذلك في نسخة الشهيد بدليل ما في الابيات، وكان الشهيد اخذ اسمه من الابيات، والذي وجدناه في سائر الكتب «كدام» بالبدال، ولعله هو الصواب، وان كان كل من كرام وكدام موجوداً في اعلام العربية. والذي في الدرجات الرفيعة: العبدى وفي غيره العزى. قول هذا الشاعر: «وهم صحاب»، ان اراد بهم انهم صاحبون فليس بصواب، اذ ليس فيهم من الصحابة غير حجر»<sup>(86)</sup>.

**مراجع الكتاب 1 -** الارشاد: الشيخ المفيد (النجف، المطبعة الحيدرية 1962م - 1382هـ). 2 - الاستيعاب في معرفة الاصحاب، ابن عبد البر النمري القرطبي، مطبوع في هامش الاصابة. 3 - اسد الغابة، ابن الاثير (بيروت، دار احياء التراث العربي). 4 - الاصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني (بيروت دار احياء التراث العربي، اوفست عن الطبعة الاولى 1328هـ). 5 - اعلام الورى، الطوسي (النجف، المطبعة الحيدرية 1390 - 1970). 6 - اعيان الشيعة السيد محسن الامين (بيروت، دار التعارف 1403هـ - 1983م). 7 - الاغانى، ابو الفرج الاصفهاني (بيروت، دار الفكر 1956م). 8 - بحار الانوار، الشيخ المجلسي (بيروت، دار احياء التراث العربي 1403هـ - 1983م). 9 - بهجة الآمال، ملا علي العلياري التبريزي (طهران - بنياد فرهنگ اسلامي، 1363 شمسي). 10 - تاريخ الكوفة، البراقي (النجف، المطبعة الحيدرية 1379هـ). 11 - تاريخ الامم والملوك، الطبري (بيروت، مؤسسة الاعلمي، 1403هـ - 1983م). 12 - تاريخ اليعقوبي (النجف، المطبعة الحيدرية 1394هـ - 1974م). 13 - تجارب الامم، ابو علي بن مسكويه الرازي (طهران، دار سروش 1407هـ - 1987م). 14 - تنقيح المقال في علم الرجال، الشيخ المامقاني (النجف، المطبعة المرتضوية 1350 شمسي). 15 - التنقيح في شرح المودة الوثقى (تقاريرات السيد الخوئي) الميرزا علي الغروي (قم، دار الهادي 1410هـ). 16 - ثورة الحسين عليه

(85) تاريخ الطبري ج 4 / ص 212.

(86) اعيان الشيعة ج 4 / ص 582.

(السلام)، محمد مهدي شمس الدين (بيروت، دار الاندلس). 17 - حجر بن عدي، عبد الله السبتي (بيروت، مؤسسة اهل البيت 1403 هـ - 1982 م). 18 - جامع الشتات، المحقق القمي (طهران، شركة (الرضوان). 19 - الدرجات الرفيعة، السيد علي خان الشيرازي (بيروت، مؤسسة الوفاء 1403 هـ). 20 - الرجال، ابن داود الحلي (النجف، المطبعة الحيدرية 1392 هـ - 1972 م). 21 - رجال الشيخ الطوسي النجف (المطبعة الحيدرية 1380 هـ - 1961 م). 22 - رجال الكشي كربلاء (مؤسسة الاعلمي للمطبوعات). 23 - رجال العلامة الحلي، (النجف، المطبعة الحيدرية 1381 هـ - 1961 م). 24 - سفينة البحار، الشيخ عباس القمي (النجف، المطبعة العلمية 1355 هـ). 25 - نهج البلاغة، شرح ابن ابي الحديد (القاهرة، دار احياء الكتب العربية 1378 هـ). 26 - الشيعة والحاكمون، الشيخ محمد جواد مغنية (بيروت، المكتبة الاهلية 1961 هـ). 27 - الطبقات الكبرى، ابن سعد (بيروت، 1377 هـ - 1957 م). 28 - الغدير، الشيخ عبدالحسين الاميني (طهران، دار الكتب الاسلامية 1366 شمسي). 29 - قاموس الرجال، الشيخ محمد تقي التستري (قم، مؤسسة النشر الاسلامي 1411 هـ). 30 - في رحاب ائمة اهل البيت، السيد محسن الامين (بيروت، دار التعارف 1400 هـ - 1980 م). 31 - الكامل في التاريخ، ابن الاثير (بيروت، دار صادر 1402 هـ - 1982 م). 32 - كشف الغطاء، الشيخ جعفر كاشف الغطاء (اصفهان، انتشارات مهدي). 33 - كشف الغمة، ابو الحسن علي بن عيسى الاربلي (بيروت - دار الاضواء 1405 هـ - 1985 م). 34 - كنز العمال، المتقي الهندي (بيروت، مؤسسة الرسالة 1409 هـ - 1989 م). 35 - لسان العرب، ابن منظور (بيروت، دار صادر). 36 - المجالس السنية، السيد محسن الامين (بيروت، دار التعارف 1394 هـ - 1974 م). 37 - مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي (النجف، مطبعة الآداب). 38 - مرآة العقول، الشيخ المجلسي (طهران، دار الكتب الاسلامية 1404 هـ). 39 - مروج الذهب، المسعودي (قم، دار الهجرة 1404 هـ - 1984 م). 40 - المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري (بيروت، دار المعرفة). 41 - مستدرك سفينة البحار (طهران، مؤسسة البعثة 1410 هـ). 42 - مصباح الفقاهة (تقارير السيد الخوئي)، محمد علي التوحيدي (النجف، المطبعة الحيدرية 1374 هـ - 1954 م). 43 - مقاتل الطالبين، ابو الفرج الاصفهاني (النجف، المطبعة الحيدرية 1385 هـ - 1965 م). 44 - مقتل امير المؤمنين، ابن ابي الدنيا، مجلة تراثنا، العدد الثالث، السنة الثالثة (قم، مؤسسة آل البيت 1408 هـ). 45 - مناقب آل ابي طالب، ابن شهر آشوب المازندراني (النجف، المطبعة الحيدرية 1376 هـ - 1956 م). 46 - النهاية في غريب الحديث والاثار، ابن الاثير (القاهرة، المكتبة الاسلامية). 47 - نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح (بيروت، دار الكتاب اللبناني 1982 م). 48 - وسائل الشيعة، الحر العاملي (بيروت، دار احياء التراث العربي). 49 - وقعة صفين، نصر بن مزاحم (القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة). وهناك مراجع ومصادر اخرى تلاحظ في هذا الكتاب. \* \* \*

## فهرس الكتاب

- كلمة المجمع ... 5
- المقدمة ... 9
- اسمه ... 11
- ولادته وشهادته ... 13
- اولاده ... 15
- قبيلته ... 16
- اسلامه وصحبته ... 21
- وثاقته رجالياً ... 30
- احاديث وروايات من طريق حجر ... 36
- حياته في ظل الاسلام ... 38
- دوره قبل خلافة الامام (ع) ... 41
- دوره في خلافة الامام (ع) ... 44
- سيرة الامام (ع) ومواقفه ... 45
- دور حجر في المعارك الثلاث ... 54
- دوره في الجمل ... 54
- دوره في صفين ... 56
- دوره مع الخوارج ... 59
- مواقفه القتالية الاخرى ... 60
- دوره حين شهادة الامام (ع) ... 61
- مع الامام الحسن ... 64
- اساليب معاوية وممارساته ... 67
- حكاية مقتل حجر ... 74
- المغيرة بن شعبة ... 74
- زياد ابن ابيه ... 76
- موقف حجر من ولاة معاوية ... 78
- حجر والمغيرة بن شعبة ... 78
- حجر وزياد ... 81

الشهادة على حجر ...	91
مرج عذراء ...	102
مواقف بطولية في مرج عذراء ...	108
استنكار المجزرة ...	113
المبررات الشرعية للصمود والتضحية ...	120
نظرة عامة في حركة حجر ومصرعه ...	152
ما قيل من الشعر في حجر ...	158
مراجع الكتاب ...	167
فهرس الكتاب ...	173